من روائع الأدب العالمي للناشئين

عالم رائع جديد

«من قصص الخيال العلمي»

تأليف : ألدوس هكسلي

ترجمة : الشريف خاطر

عالم رائع جديد

الـدوس هـكـسـلـى
ترجمة: الشـريف خـاطر
مراجعة: مختار السويفى

مقدمـــة

هذه رواية شهيرة من أدب الخيـال العلمى .. مؤلفها هو الأديب والمفكر الانجليزى « الدوس ليونارد هكسـلى » الذى ولد بانجلترا عـام ١٨٩٤ ومـات عـام ١٩٦٣ .

بدأ « هكسلى » حياته الأدبية بنظم الشعر .. ولكنه اشتهر بقصصه ورواياتـه التى وصف فيهـا المجتمع الانجليزى المعـاصر وصفا تهكميا ساخرا من معظم عاداته وتقاليده الاجتماعية . وقد ظهر اتجاهه السـاخر هـذا فى عـدد كبير من رواياته وقصصـه القصيرة وفى كثير من مقالاته الأدبية والنقدية .

وتعد هـذه الرواية من الأدب الساخر ، مثلها فى ذلك مثل « رحلات جليفر » للأديب « دين سويفت »

ورواية « كانديد » للأديب والمفكر الفرنسى « فولتير ». حيث يدور موضوع هـذه الأعمال الأدبية المشهورة حول « نقد المجتمع » والسخريـة بعاداته وتقاليده السيئة .

وقد نشأ « الدوس هكسـلى » فى عائلة معظم أفرادها من العلماء المشهورين فى انجلترا .. ولذلك فقد تأثر كثيرا بالعلم فى معظم اعمـاله الأدبيـة .. وخصـوصا وانه كان يدرس الطب ويؤهـل نفسـه ليصبح طبيبا .

غير ان ميوله الأدبية والفلسفية تغلبت عليـه فى النهاية فانصرف الى دراسة التصـوف والفلسفة والابداع الأدبى .. وقد تأثر كثيرا بما حدث فى أوربا أثناء الحرب العالمية الأولى « ١٩١٤ـ ١٩١٨ » حيث شهد العالم حربا ضروسـا سقط فيها القتلى ودمرت فيها الكثير من المنشآت الحضارية بسبب رغبة بعض الحكومات فى السيطرة والهيمنـة وفرض النفوذ .. وحيث اصبحت النظم السياسـية فى مختلف الدول تفرض سيطرتها على الأفراد ، بل وتفرض عليهم ايضا

طرقا للتفكير وسبلا للحياة الاجتماعية قد لا يرتضيها معظم هؤلاء الأفراد .. وحيث اصبحت الشعوب فى النهاية تحت سيطرة وتوجيه الحكومات .

وفى رواية « عالم رائع جديد » يتخيل « هكسلى » ما سوف يحدث فى المستقبل ، أو بعد ستة قرون .. تخيل ان القيم الانسانية ستختفى ، بل وسوف تصبح من الرذائل الممقوتة .. وستتغير المشاعر الانسانية .. والنظم الاجتماعية كالأسرة والزواج الشرعى .. وسوف يتم صنع الأطفال فى الأنابيب والزجاجات .. وتصنيفهم حسب احتياج المجتمع .. وستحل المواد الصناعية بدلا من المواد الطبيعية .. وستضع النظم الحكومية فى المستقبل الخطط اللازمة لازالة المعاناة عن الناس .. وستحدد لهم طرق تفكيرهم بحيث تتلاشى الارادات الفردية والأفكار الخاصة بشخصية الانسان الفرد.. وستمحى

من ذاكرة الفرد كل ما يحس به من عواطف انسانية كالفرح والحزن .. بل سيصبح العالم عالما ماديا تختفى منه الحرية الشخصية .

وتهدف هذه الرواية الى السخرية بهذا العالم المستقبلى الجديد .. وتحذرنا ايضا من هذا الخطر الذى ستتعرض له الانسانية .

« رئيس التحرير »

الفصـــل الأول

مبنى رمادى منخفض ، يتكون من اربعة وثلاثين طابقا فقط . فوق المدخل الرئيسى لافتـــة كتب عليها « **مركز لندن الرئيسى للتفريخ والتكيف** » وكتب داخل برواز زجاجى شـــعار الدولة العالمى ؛ « **اشـــتراكية عدالة ، استقرار** » .

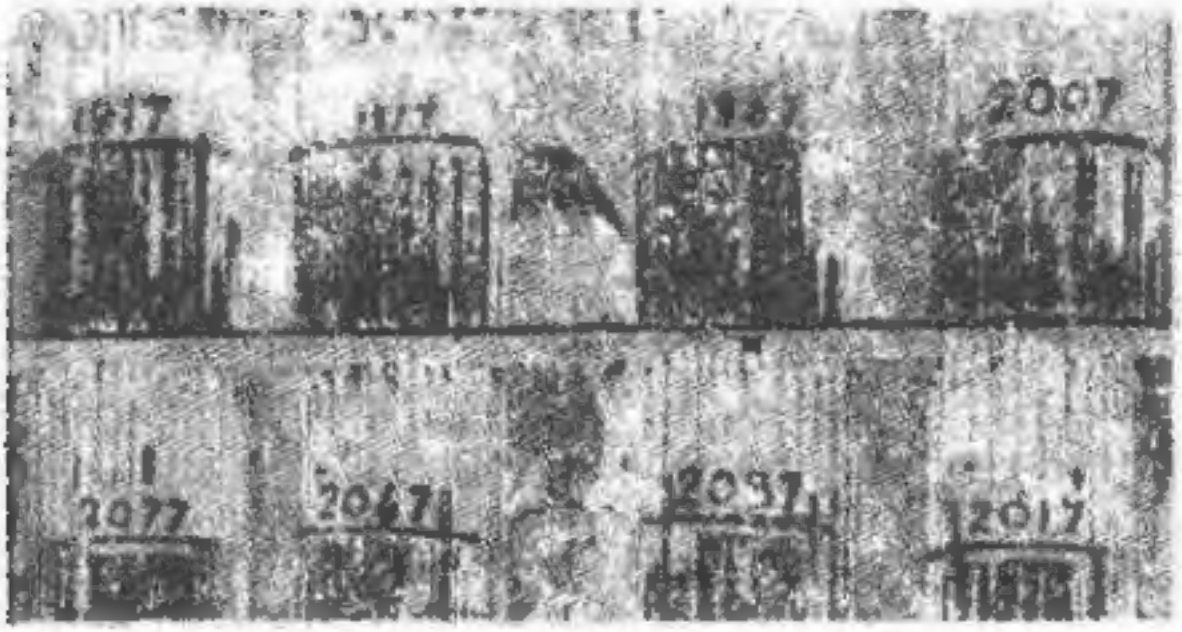

كانت القاعة الفسيحة بالدور الأرضى تواجه الشمال . كان الجو باردا بالخارج رغم فصل الصيف، ورغم ارتفاع درجة حرارة القاعة نفسها ، فقد كان هناك شعاع رفيع غير مريح يخترق النوافذ . ويسقط على الزجاج والمعدن اللامع وعلى الأسطح البيضاء اللامعة الباردة للمعمل . كان الاحساس بجو الشتاء قويا فى المكان . وكانت الملابس التى يرتديها العمال بيضاء ، والقفازات التى يلبسونها فى أيديهم من مطاط شاحب ، بلون وجه رجل ميت . أما الاضاءة ، فكانت جامدة ، لا حياة فيها ، شاحبة . فيما عدا قدرا من الثراء والحيوية ، كانت تفترضه من قواعد الميكروسكوبات الصفراء الممتدة بمحاذاة الأنابيب اللامعة مثل الزبد ، والتى تسطع فى صفوف على طول مناضد المعمل .

قال المدير وهو يفتح الباب : « وهذه هى الحجرة التى تخصب فيها البويضات » .

هب ثلاثمائة عامل وقوفا بينما كانوا منحنين على ادواتهم منهمكين فى عملهم فى صمت ، عندما دخل

مدير التفريخ والتكيف . يتبعه مجموعة من الطلاب الصغار قليلو الخبرة ، وصلوا حديثا ، كلهم قلق وتعاسة . يحمل كل منهم دفترا يدون فيه ما يقوله الرجل العظيم بسرعة . كانت المناسبة غير عادية . لأن فرص الاستماع الى مدير مركز التفريخ والتكيف المركزى بلندن ، عن سير العمل كانت نادرة ، لكنه كان يصر دائما على ان يصحب الطلبة الجدد شخصيا فى جولة بالأقسام المختلفة .

وكان يبرر ذلك بقوله : « لمجرد ان اعطى لكم فكرة عامة » . فلابد بطبيعة الحال من الحصول على فكرة عامة . ليتسنى لهم ان يؤدوا عملهم بوعى ، حتى ولو كانت فكرة بسيطة ، اذ من المفترض ان يكونوا أعضاء فعالين وسعداء فى المجتمع . اما بالنسبة للتفاصيل ، كما يعرف الجميع ، فهى تؤدى الى الفضيلة والسعادة ، أما الأفكار العامة ، رغم اهميتها لبعض الأغراض ، الا انها خطيرة . والمجتمع الآمن الفعال يعتمد على العاملين ، لا على المفكرين .

ونضيف المدير بنبرة يخلط فيها الود والحزم :
« وغدا سـوف تستمرون فى أعمال مهمة . ولن نكون لديكم وقت للأفكار العامه . فى حين أن . . . » .

ولقد كانت كلمه فى حين أن فرصة للطلبه ، حيث كانوا يدونون ملاحظاتهم بسرعة وبقدر ما يستطيعون ، من فم المدير مباشرة فى دفاترهم .

تقدم المدير داخل القاعة وهو منتصب القامـه : رغم أنه طويل ونحيف . له ذقن مدببـه ، وشفتان مقوستان غليظتان ، تغطيان أسنانه العريضه ، عندما لا يتكلم . هل هو عجوز ، أم شـاب ؟ عمره ثلاثون ؟ أم خمسـون ؟ أم خمسـه وخمسون ؟ . . كان من الصعب طرح هـذا السؤال ، خاصه فى عام الاستقرار هذا . عـام ٦٣٢ أ . ف ، بعد ظهور الفوردية .

. . « سوف أبدأ من البدايه » . قال مدير المفرخ والمكيف ، ودون التلاميذ المجتهدون هذه العبارة فى دفاترهم : « سأبدأ من البدايه » **واستطرد قائلا :**
« هذه هى الحضانات » وفتح بابا ضخم حصينـا

ليمنع تسرب الحرارة ، واراهم صفوفا من الأرفف بها انابيب اختبار عليها ارقام . **وقال** : « هذا اسبوع جمع البويضات حيث تحفظ فى درجة حرارة الدم ؛ بينما عناصر الاخصاب الذكرى » ، وعندئذ فتح باب آخر **وقال** : « يجب أن تحفظ فى درجة حرارة قدرها ٣٥ ، بدلا من ٣٧ . لأن درجة حرارة الدم من الممكن أن تفسد قدرتها الاخصابية » .

وبينما الأقلام تتسابق فى تدوين ما يقوله على صفحات دفاترهم ، اعطاهم وصفا مختصرا عن سير عملية الاخصاب الحديثة ، تحدث أولا ، بالطبع ، عن العملية اللازمة لبداياتها « ولقد تم تعيل هذه العمليه عن طيب خاطر لمصلحه المجتمع ، ولا يمكن أن تعمل ان من يعتمد عليهم فى هذه العمليه يصرفون أجر ستة أشهر ، بمثابة أجر اضافى » ثم وصف كيفيه المحافظة على البويضات حية بعد خروجها من الجسم وتنميتها ، وذكر اسم السائل الذى تحفظ فيه حتى يتم نضجها ، ثم قاد الطلبه الى مناضد العمل . وأراهم كيف يؤخذ هذا السائل من انابيب الاختبار :

وكيف يفحص نقطة نقطة على شرائح زجاجية دائمة تحت الميكرسكوبات ، وكيف تفحص البويضات للتأكد من صلاحيتها ثم يتم حصرها ، ونقلها بعد ذلك الى وعاء ، (فى هذه اللحظة اخذهم ليراقبوا العملية)، وتغمر داخل محلول دافىء تسبح فيه الحيوانات المنوية بحرية ـ حيث يوجد على الأقل مائة الف منها فى كل مليميتر من المحلول ، ثم بعد عشر دقائق يرفع الوعاء من المحلول ، وبعد ذلك يتم اعادة البويضات المخصبة الى الحضانات . وتظل فصائل الألفا والبيتا حتى تعبأ بصفة نهائية داخل زجاجات ، أما فصائل الجاما والدلتا والابسيلون ، وهى فصائل ادنى ، فيتم استخراجها من الحضانات مرة أخرى ، بعد مضى ست وثلاثين ساعة فقط وتعالج بطريقة بوكانوفسكى (*) .

(*) بوكانوفسكى : اسم روسى مخترع استعمله المؤلف ليذكرنا بأعمال العالم الروسى ايفان بتروفتش بافلوف (١٨٤٩ ـ ١٩٣٦) صاحب النجربة المشهورة فى التحكم فى سلوك الكلاب .

« اما طريقة بوكانوفسكى » ، فتتلخص فى ان كل بويضة ينتج عنها جنين واحد ، انسان واحد ـ هذا هو الوضع الطبيعى ـ اما البويضه التى تعالج بطريقة بوكانوفسكى فتنقسم الى أجزاء عديدة ـ تتراوح ما بين ثمانيه الى ستة وتسعين ، ويبدأ هذا الجزء فى التبرعم ليكون جنينا كاملا ، وينمو الجنين حتى يصبح انسانا كاملا . وبهذا يمكن انتاج سته وتسعين انسانا بدلا من واحد . انه التقدم !

لكن واحدا من الطلبة كان من الحماقة بما فيه الكفاية وسأل عما يميز هذا الأسلوب فى انتاج البشر ، عن الأسلوب الطبيعى .

فالتفت المدير بحدة وحملق فيه وقال :
« يابنى العزيز ! الا تدرك ؟ الا تدرك ؟ . ان طريقة بوكانوفسكى واحده من الطرق الأساسية لضمان استقرار المجتمع » ؟ !

استقرار المجتمع . بمعنى أن يكون هناك رجال ونساء لهم صفات وخصائص واحدة . فجميع عمال

مصنع صغيرهم نتاج بويضة واحده عولجت بطريقة بوكانوفسكى .

وقال المدير وهو يهز راسه : « لو امكننا ان نعالج جميع البويضات بطريقه بوكانوفسكى دون حدود ، لاستطعنا حقيقة ولأول مرة فى التاريخ أن نصل الى تحقيق أهدافنا ، الاشتراكية ، العدالة ، الاستقرار . لكن لسوء الحظ لا نستطيع ان نفعل ذلك نهائيا .. ستة وتسعون هو الحد الأقصى ، أما المتوسط المعقول فهو اثنان وسبعون » .

وبصادف مرور شاب شعره جميل ، فرآه المدير **فنادى عليه :**

ـ « يا سيد فوستر » .

فاقترب السيد فوستر .

ـ « ارجو أن تنضم انت وتعطى هؤلاء الأولاد بعضا من خبرتك المستفادة ، بأن تشرح لهم العمليات التى تمر بها الأجنة » .

وابتسم السيد فوستر ابتسامة متواضعة وقال : « بكل سرور » . ثم انصرفوا .

كانت غرفة تعبئة الزجاجات تتسم بالحيوية والنظام . حيث توجد مصاعد صغيرة تحمل قطعا من اغشية امعاء الخنازير تأتى بها من مخزن الأعضاء وتستعمل بمثابة رحم . وعندما تفتح أبواب المصعد ، أقما على العامل الا ان يمد يده ويأخذ قطعة من الغشاء ، ويضعها داخل الزجاجة ويعيدها الى مكانها برقة . وقبل ان تبتعد الزجاجة عن متناول يد العامل فوق السير المتحرك ، تصل قطعة اخرى من أسفل توضع فى زجاجة اخرى وهكذا ، تأتى التى تليها وتمضى هذه العملية ببطء ، ولا تنتهى طالما يتحرك السير .

والآن نأتى للعملية التالية . عند سير الزجاجات فوق السير المتحرك ، تقوم مجموعة أخرى من العاملين بعمل فتحة صغيرة فى كل قطعة غشاء وهى تمر امامهم داخل الزجاجة التى تحتويها ، ويسقطون من الفتحة بويضة تؤخذ من أنابيب الاختبار ، يزحلقونها برقة الى الداخل ، ثم يصبون محلولا ملحيا يقوم بالتغذية . .

وبعد أن يتم ذلك تنتقل الزجاجات الى الغرفة التالية . حيث يكتب تاريخ التعبئة وكل التفاصيل الضرورية عن محتويات الزجاجة ، من الخارج .

ومروا عبر غرفة تخزن فيها كل التفاصيل المدونة . وهذه التفاصيل يستخدمها المسئولون الرسميون لحساب الأعداد المطلوبة من كل فصيلة يحتاجها المجتمع في أى وقت . ومن هنا يرسلون الأعداد المطلوبة لحجرة الاخصاب ، التي يتحتم عليها ان تمدهم بالأجنة التي طلبوها .

فتح السيد فوستر بابا ، يؤدى الى حجرة اسفل مستوى الأرض ، حاره جدا ، ولا يدخلها ضوء النهار على الاطلاق . والضوء الوحيد الموجود ، ضوء صناعي ، أحمر شاحب .

وقال السيد فوستر وهو يبتسم لنكتته : « الأجنة مثل أفلام التصوير ، لا تتحمل سوى الضوء الأحمر » .

هذا المكان هو الذى يحدد فيه الجنس والفصيله الاجتماعية لكل الكائنات البشرية القدمه . وأشار الى ثلاثه صفوف من الأرفف فوق بعضها . وعبر هذه الأرفف ، تمر الزجاجات بمراحل المعالجة المطلوبة قبل أن تخرج الى ضوء النهار وتحول محتوياتها من حالة الأجنه الى كائنات حيه . والوقت اللازم لاتمام هذه العمليه حتى تكتمل مائتان وسبعة وستون يوما .

وقال السيد فوستر بنوع من الرضا : « لكننا استطعت خلال ذلك الوقت أن تنجح فى انتاج الكثير منهم .. كمية كبيرة جدا » .

وأثناء تجوالهم وصف لهم الطرق المختلفه للمعالجات ، طبقا للجنس الذى سيكون عليه الجنين والمكانه التى سيشغلها فى المجتمع . وقال للطلبة كيف أن الأطفال يخرجون بعد هذه المراحل مصنفين سلفا مثل فصيلة « ألفا » أو « ابسلون » التى يمكن أن تولى العمالة فى المصانع مستقبلا ، أو كحكام مستقبليين .. « حكام مستقبليين للعالم » كان سيقول

ذلك ، لكنه صحح خطـاه وقال بدلا من ذلك ، « مديرو المراكز مستقبلا » .

وابتسم المدير لهذه المجاملة .

أصبح مستر فوستر عمليا جدا أثناء شرحه . فوصف كيف تنمو الأجنة فى المحلول الثرى بالغذاء الذى يحل محل الدم . وأراهم كيفية التحكم فى الأوكسجين الذى يصل الى كل فصيلة من الأجنة حتى يمكن التوصل الى الدرجة الصحيحة اللازمة للنمو بالنسبة للمخ والجسم ، لكل نوعية من النوعيات . وتوقف عند رف يحمل اجنة تجهز للعمل فى المناطق الحارة أو فى مصانع الحديد والصلب حيث الحرارة العالية لازمة . حيث تمر الأجنة خلال نوع من الأنابيب تتعرض بدورها للحرارة ، ثم لنوع فظيع من البرودة ، من وقت لآخر ، وعندما يحين الوقت لخروجهم من الزجاجات ويصبحون أطفالا يحبون الحر ويخشون البرد . وفيما بعد يكون تفكيرهم انعكاسا لما تشعر به اجسادهم . وأنهى السيد فوستر كلامه بقوله « نحن ندربهم على الاحتياج

للحرارة لنموهم الجسدى ، والممرضات بالدور العلوى سيعلمونهم حب الحرارة » .

واضاف المدير بوفار : « وهذا ، هو سر السعادة والفضيلة .. ان تحب ما يتبغى عليك عمله . كل تدريباتنا تهدف الى ذلك ، أن نجعل الناس تحب مواقعهم الحتمية فى المجتمع » .

وفى مكان ما بين أنبوبتين كانت هناك ممرضة تقوم بعملية حساسة للغاية بابرة لمحتويات احدى الزجاجات العابرة . ووقف الطلاب ومرشدهم يراقبونها لعدة لحظات فى صمت .

وعندما انتهت من عملها وسحبت الابرة اخيرا من الزجاجة ، واعتدلت فى وقفتها **قال لها السيد فوستر** : « حسن ، يالينينا » .

فالتفتت الفتاة وقد أخذت . وبالرغم من الاضاءة الحمراء المعتمة ، كان بامكان المرء ان يرى كم هى جميلة جدا ! .. وفتر ثغرها عن صف اسنان كاللؤلؤ .

سالها السيد فوستر بنبرة استاذ محترف :
ـ « بماذا تحقنين الأجنة » ؟ .

« اوه . احقنها بالمضاد العادى للحمى الاستوائية ومرض النوم » .

وشرح السيد فوستر للطلاب ذلك بقوله :
« العمال الذين سيعملون فى المناطق الاستوائية تبدأ معالجتهم فى هذه المرحلة حتى يقاوموا الأمراض الاستوائية .

ثم التفت الى ليننا وقال لها : « موعدنا فى الخامسة الا عشر دقائق بعد الظهر على السطح ، كالمعتاد » .

قاد السيد فوستر الطلبة الى رف آخر حيث يوجد صفوف من الجنين القادم من العمال الكيماويين، يتم معالجتهم لتحمل اخطار كميات الرصاص الكبيرة والمواد الأخرى المضرة بالصحة . وعلى رف آخر كانت توجد المجموعة الأولى المكونة من مائتين وخمسين مهندسا متخصصا فى اصلاح الطائرات

الصاروخية فى المستقبل ، وقد وصلوا على السير المتحرك الى نقطه معينة ، حيث تشرع آلة معينه فى جعل الزجاجات تدور حول نفسها بسرعة منتظمة .

وقال فوستر :

ـ « ذلك لتحسين احساسهم بالتوازن . فاصلاح الصواريخ اثناء طيرانها ليست بالمهمه السهلة . فنحن نقلل كمية بديل الدم عندما يكونون معتدلين ، فيشعرون بحالة من الجوع النصفى ، ونضاعف الكمية عندما يكون وضعهم مقلوبا . وبالتالى يحبب اليهم أن يكونوا فى وضع مقلوب مثل ذلك . وحصيلة فانهم يكونون سعداء جيدا ، عندما يقفون على رؤوسهم » .

وواصل السيد فوستر حديثه قائلا : « والآن أود أن أريكم عملية تكيف طريفة جدا لعصلة « الفا » المضاف اليها عنصر الذكاء . ولدينا منها مجموعة ضخمة على الرف رقم ٥ ، من المستوى المتوسط » .

لكن المدير نظر الى ساعته وقال : « الثالثة الا عشرة ، ولا أعتقد انه يوجد وقت لمشاهدة الأجنة الذكية . اذ ينبغي أن نصعد الى أعلى ، الى قسم الرعاية قبل أن يستيقظ الأطفال من نوم ما بعد الظهر » .. !

الفصـــل الثـــانى

تركهم الســـيد فوســـتر عند باب حجرة تفريخ الزجاجات ، حيث تستخرج الأجنة من رجاجاتها ، لتجرى عليهـــا كل المراحل المهمة ، مرورا بمرحـــلة تكيف الأطفال وهى المرحلة الحقيقية الأولى فى طريقهم الى الحياة ككائنات بشرية . واســـتقل مدير مركز التفريخ والتكيف هو وطلبته أقرب مصعد حملهم الى الدور الخامس . حيث توجد لوحة كتب عليهـــا :

« **قسم رعاية الأطفال . حجرات التكيف** » .

فتح المدير الباب . فوجدوا انفســـهم فى حجرة كبيرة واســـعة ، مضيئة ومشرقة . الحائط الجنوبى كله عبارة عن نافـــذة واحدة . كانت هنـــاك ســـت ممرضات ، يرتدين الزى الرسمى ، المكون من بالطو ابيض وبنطلون مصنوع من مادة صناعية ، وشعرهن

يختفى تحت طواقى بيضاء ، ويقمن بوضع أوعيه كبيرة من الزهور فى صف طويل على الأرض .

وقفت الممرضات بلا حراك احتراما لدخول مدير مركز التفريخ والتكيف . **وقال المدير** : « اخرجوا الكتب » .

وفى هدوء فعلت الممرضات ذلك كما امر المدير . ووضعن الكتب بين اوعيه الزهور ، صف من كتب الأطفال الجدابة . فتحت على صفحات مصورة بألوان زاهية لحيوانات وطيور واسماك .

ـ « والآن ، احضروا الأطفال » .

واسرعت الممرضات بالخروج من الحجرة ، وعدن خلال دقيقة او دقيقتين ، وكل منهن تدفع عربة مكونة من اربعة أرفف فوق بعضها . كل رف كان محاطا بشبكة من السلك ، ومحملا بأطفال من سن الثمانية شهور ، يشبهون بعضهم تماما .

كان من الواضح . انهم مجموعة من فصيلة

بوكانوفسكى ، وكلهم (طالما انهم من رتبة دلتا ، يلبسون ملابس من قماش كاكى اللون .

ـ « ضعوا الأطفال على الأرض » .

وانزل الأطفال .

ـ « والآن اديروهم حتى يتمكنوا من رؤية الزهور والكتب » .

وادير الأطفال . وعلى الفور بدا الأطفال الزحف تجاه الكتب ، منجذبين بالألوان الزاهية والأشكال الجميلة . وبينما كانوا يتحركون ، كان ضوء الشمس يدخل المكان من خلف سحابة عابرة . فانعكست اشعتها على الورود والصور ، فزادتها نورا وجمالا . وتصايح الأطفال الزاحفون فرحا وابتهاجا !

فرك المدير ذقنه بنوع من الرضا . وقال : « رائع ، ربما يفى ذلك بالغرض » .

كان بعض الأطفال قد وصل فعلا الى الكتب . ولامست أيديهم الصغيرة دون ثبات ، الزهور

والصفحات الملونة الزاهية . وانتظر المدير حتى اصبح كل الأطفال منشغلين فى سعادة . ثم قال : « راقبوا بعناية » . ورفع ذراعه واعطى اشارة .

فضغطت رئيسة الممرضات على مفتاح ، حيث كانت تقف فى الناحية الأخرى من الحجرة .

وحدث انفجار عنيف . فلقد دقت اجراس الانذار .

فصرخ الأطفال . واصبحت وجوههم قبيحة ملتوية من اثر الرعب .

فصاح المدير بصوت عال جدا ، حتى يسمع وقال : « والآن ، سوف نجعل الدرس أكثر وضوحا باستعمال الصدمة الكهربائية المعتدلة » .

ولوح بيده ثانية فضغطت رئيسة الممرضات على مفتاح آخر . فاصبحت صرخات الأطفال مذعورة، أقرب الى الجنون . وتيبست اجسادهم الصغيرة . واخذت اطرافهم الصغيرة تتحرك فجأة حركات ميكانيكية وكأنما تجذبها أسلاك خفية .

وصاح المدير شارحا : « يمكنك أن ست صدمات كهربائية خلال كل أجزاء الأرصيه ، لكن ذلك يكفى » وأعطى اشارة للممرضة .

توقفت الانفجارات ، وسكتت الأجراس ، وتوقفت الأطراف الصغيرة عن الحركه ، وأصبحت صيحاتهم أقل رعبا .

قال المدير : « قدموا لهم الزهور والكتب ثانية » .

فأطاعت الممرضات ، لكن مجرد رؤية الزهور وتلك الصور المبهجة للحيوانات الأليفة ، جعلت الأطفال يتقهقرون فى رعب ، وبدأوا فى العويل بصوت عال جدا .

قال المدير وكله احساس بالرضا التام : « لاحظوا ذلك . لاحظوا ذلك » .

الكتب والضجة الشديدة ، الزهور والصدمات الكهربائيه . لقد ترسخ هذا الارتباط بالفعل بين هذين

الشيئين ، فى ذهن الأطفال ، ومع تكرار الدروس ستصبح العلاقة مستمرة دون شك .

ـ « سوف يكبر الأطفال وفى اذهانهم ما يمكن ان يطلق عليه الكراهية « الطبيعية » للكتب والزهور . سيكونون فى أمان من الكتب والزهور طوال حياتهم » **والتفت المدير الى ممرضاته وقال :** « اعيدوهم الى اماكنهم » .

وحمل الأطفال الذين يرتدون الملابس الكاكية ، وهم ما زالوا يصرخون على ارفف العربات ، ودفعت الى الخارج ، محلفين ورائهم رائحة لبن مخمر وهدوءا مريحا جدا .

ورفع احد الطلبة ذراعه ليسأل سؤالا . فقد اتضح له تماما عدم وجود اناس من مرتبة ادنى تضيع وقت الدولة فى قراءة الكتب ، كما ان هناك دائما مخاطرة بقراءتهم شيئا من الممكن ان يعكر تكيفهم بطريقة ما ، لكنه لم يدرك المبرر بالنسبة للزهور . فما هو الضرر الذى يمكن أن يحدث بالنسبة لفصيلة الدلتا لو احبوا الزهور ؟

شرح له المدير بصبر وروية . لو أننا جعلنا الأطفال يصرخون لمنظر الزهور ، فهناك دوافع اقتصادية من وراء ذلك . منذ فترة ليست بالبعيدة جدا (منذ حوالى قرن) كانت فصائل جاما ودلتا وحتى الأبسيلون تكيف لحب الزهور .. الزهور بصفة خاصة والطبيعة البرية بصفة عامة . كان الهدف من ذلك أن يخرجوا الى الريف خلال اى فرصة ، ونتج عن ذلك استهلاكهم لوسائل النقل .

فسأله الطالب : « لكن الا يستهلكونها بالفعل » ؟

فاجاب المدير : « الى حد كبير جدا . لكن لاشيء آخر » .

واشار الى أن الزهور والمناظر الطبيعية ، تتسم بخطأ كبير ، تكسبهم الحرية . ان حب الطبيعة لا يسمح لمصانع بأن تكون مشغولة . لذا فقد تقرر استبعاد حب الطبيعة بين الطبقات الدنيا ، استبعاد حب الطبيعة ، وليس الاحتياج الى التنقل . لأنه كان

من الضرورى بالطبع أن يواظبوا على الذهاب الى الريف ، حتى لو كانوا يكرهونه . المشكلة كانت فى أن نجعلهم يستهلكون المواصلات لمبرر آخر أفضل من الناحية الاقتصادية من مجرد التأثر بمنظر الزهور والمناظر الطبيعية . لقد حلت هذه المشكلة .

وانهى المدير كلامة بقوله : « نحن نكيف الطبقات الدنيا لكراهية الريف ، لكننا فى نفس الوقت نكيفهم لحب كل رياضات الريف » .

وفى نفس الوقت نجعلهم متأكدين ان الرياضات الريفية تحتاج الى أجهزة مكلفة . ولهذا فهم يستهلكون المنتجات الصناعية تماما مثل وسائل المواصلات . وهذا هو سبب استخدام الصدمات الكهربائية .

قال الطالب ، باعجاب كامل : « فهمت » .

وبدا المدير حديثه ثانية : « حدث ذات مرة ،

حينما كان الهنا (*) فورد لايزال على الأرض ، كان يوجد صبى صغير اسمه « روبين رابينوفتش » . كان ابنا لأبوين يتحدثان البولندية . أعتقد ، أنكم تعرفون ما هى البولندية ؟

ـ « لغة ميتة ، مثل الفرنسية والألمانية » .
ـ « وكلمة ، والد » ؟

خيم صمت كئيب . واحمرت وجوه العديد من الطلاب . فهم لم يتعلموا بعد الفن الصعب للتمييز بين اللا أخلاقية وبين العلم الخـالص . وأخيراً انبرى واحداً منهم الشجاعة ورفع يده . **وقال** : « اعتـاد البشر على أن ... » ثم تردد . واندفعت الدماء فى وجنتيه ، ثم أكمل « حسـن ، اعتاد البشر على أن ينجبوا أطفالهم بأنفسهم » .

(*) فورد هلى وزن لورد ، وسترد كلمة فورد كثيراً فى سياق الرواية وهى تقليد لما يحدث فى المسيحية عندما نقول أوه لورد ، ونجعلها هنا أوه فورد .

ـ « صحيح ، تماما » **وهز المدير راسه** .

ـ « عندما كان الأطفال غير معبأين فى زجاجات ... » .

ـ « تقصد يولدون » **صحح له المدير** . وسكت الولد تماما ، واعتراه الضيق .

قال المدير : « باختصار ، الوالدان ، هما الأب والأم » . كانت هذه لغة صعبة ، حتى ولو كانت تستعمل استعمالا علميا وليس لمجرد كلام قذر . وسقطت الكلمات كالصاعقة فى هذا الصمت الثقيل . وكرر بصوت عال كلمة « الأم » متمحكا فى العلم ، وهو يتكىء على ظهر كرسيه **وقال** : « هذه حقائق غير مبهجة ، اعرف ذلك . والواقع ، أن اغلب الحقائق التاريخية كذلك » .

وعاد الى حكاية روبين . ذات ليلة نسى والده ووالدته (صدمة ! صدمة) أن يغلقا الراديو فى حجرة نومه .

(ويجب عليكم أن تتذكروا أن الأطفال فى تلك

الأيام كانوا يأتون من حلال والديهم ، وليس من مركز الدولة للتكيف) .

وبينما كان نائما بدأ ارسال راديو لندن فجأة . فى صباح اليوم التالى استيقظ روبين الصغير واخذ يردد كلمات من كلمات المحاضرة الطويلة التى القاها الكاتب الساخر جورج برناردشو . وكانت صدمه (صدمة) فظيعة ! لأنه لم يستطع ان يفهم بالطبع كلمة منها . واعتقدوا أن طفلهم أصيب بالجنون فجأة وبعثوا لاحضار طبيب . وكان ، لحسن الحظ ، يفهم الانجليزية ، فتعرف على الحديث الذى كان قد سمعه فى الليلة السابقة ، فتحقق من اهمية ما حدث وارسل خطابا الى جريدة طبيه بخصوص هذا الموضوع .

« ومن هنا اكتشفت مبادىء التعليم اثناء النوم » **قال المدير ذلك بوقار ، ثم اردف** : « والآن تعالوا معى » .

وتبعه الطلاب الى مصعد آخر ، اقلهم الى الدور الرابع عشر .

وانبعث صـــوت همس من مكبرات الصـــوت :
« هدوء ، هدوء » وترددت نفس الكلمة « هدوء ، هدوء » من مكبرات صـــوت أخرى عبر الممر . وقد استجاب الطلبة وحتى المدير نفسه ، دون تفكير ، لهذا النداء ، وساروا على أطراف أصابعهم . لقـــد كانوا من فصيلة الألفا ، بالطبع ، لكن حتى فصـــيلة الألفا تكيفت تكيفا متميزا .

« هدوء ، هدوء » كان جو الدور الرابع عشر مفعما بهذه الأوامر الهامسة .

وفتح المدير البـــاب بحـــذر . ودخلوا حجرة ذات اضاءة معتمة . كان بها ثمانون سريرا صغيرا فى صف واحد مواجـــه للحـــائط . وكل ما كان يمكن سماعه ، تنفس خفيف منتظم وهمهمات مواصـــلة منخفضـــة ، وكأن اصواتا واهنة تتحدث برقـــة من مسافة بعيدة .

وقفت الممرضة عند دخولهم .

وسألها المدير بهدوء : « ما هو درس بعد ظهر اليوم ؟ » .

فاجابت المرضة : « كان لدينا حصة فى الأربعين دقيقة الأولى عن المراحل الأولى للجنس ، أما الآن فنستمع الى حصة عن المرحلة الأولى للضمير » .

سار المدير ببطء عبر صف الأسرة الطويل . وبكل سرير طفل نائم . ثمانون طفلا وطفلة فى لون القرنفل ، وجوههم تضيء بالصحة يرقدون فى نعومة وسلاسة يتنفسون . وتحت كل وسادة كان هناك همس .

ـ « هل قلت الحصة الأولى فى الضمير ؟ دعيهم يعيدوها مرة أخرى ، بصوت أعلى قليلا من خلال السماعة » .

وفى نهاية الغرفة كانت هناك سماعة معلقة على الحائط . فاتجه المدير ناحيتها وضغط على مفتاح .

فانطلق صوت رقيق متميز جدا وقد بدأ من منتصف الجملة « ... كل الأطفال الذين يرتدون الملابس الخضراء ، والأطفال من فصيلة دلتا الذين

الى اقل درجات الهمس ولم يعد يسمع الا من خلال السماعات الموجودة تحت الوسادات الثمانين .

ـ « كل ذلك يردد على أسماعهم مائة وعشرين مرة ، لمدة ثلاثة أيام أسبوعيا ، خلال ثلاثين شهرا أثناء نومهم ، بعد ذلك يتلقون درسا اكثر تطورا . ان التعليم اثناء النوم من أفضل الوسائل الفعالة جدا بالنسبة للتعليم الاجتماعى عن أى وقت مضى فعقل الطفل يصبح هذه المعلومات ، وحصيلة هذه المعلومات تكون عقل الطفل . وليس عقل الطفل فقط . بل عقل الشاب كذلك .. طوال فترة حياته . العقل الذى يفكر ويرغب ويقرر . وكل هذه المقترحات مقترحاتنا نحن ! » .

وصاح المدير فى غمرة سعادته وقال : « مقترحات دولتنا » .

وحدثت ضجة جعلته يلتفت .

ـ « أوه ، فورد » !

وقال بنبرة مغايرة : « لقد ايقظت الأطفال ! » .

يرتدون الملابس الكاكى . اوه كلا . انا لا اريد ان العب مع اطفال دلتا . لأن اطفال ابسيلون مازالوا سيئين . . انهم اغبياء جدا حتى يستطيعوا تعلم القراءة والكتابة . بالاضافة الى انهم يرتدون الملابس السوداء ، وياله من لون قبيح للغاية . انا فى منتهى السعادة لأننى من فصيلة بيتا » .

وحدثت فترة صمت ، ثم بدا الصوت ثانية :

« أطفال الفا يرتدون ملابس رمادية . انهم يعملون اكثر مما نقوم به نحن ، لأنهم مهرة جدا . وا حقيقة فى منتهى السعادة ، لأننى من فصيلة بيتا ولأننى لا اقوم بعمل شاق . بالاضافة الى ان افضل كثيرا من فصيلتى جاما ودلتا . فالجاما أغبياء . يرتدون الملابس الخضراء . واطفال الدلتا يرتدون الملابس الكاكى . أوه ، كلا . لا اريد اللعب مع اطفال دلتا . كما أن الابسيلون اغبياء .

وخفض المدير درجة الصوت ، فوهن الصوت

الفصـــل الثــالث

دقت الأربعة آلاف ساعة الكهربائية الموجودة ف الأربعة آلاف حجرة ، معلنة الرابعة ، وصـــدر الأمر التالى من خلال مكبرات الصوت :

« انتهت وردية العمل اليوم ، وعلى الورديـــة الثانيـــة أن تقوم بالعمـــل . انتهت ورديـــه العمـــل اليوم ... » .

خرجت لنينا كراون من معملها المضـــاء باضاءة حمراء ، وصعدت الى الدور السابع عشر ، واتجهت يمينا بعد خروجها من المصـــعد ، وسرت عبر ممر طويل ، وفتحت بابا عليه لافتة مكتوب عليها « حجرة ملابس البنات » ، واتجهت الى دولاب عليه اسمها ، معلق فيه ملابسها الخارجية . خلعت زى العمل ، وتناولت منشفة وذهبت الى الحمـــام . هناك حيث

كانت تتدفق المياه الساخنة من مئات الحمامات . واخذت الفتيات اللاتى انتهين من العمل فى الثرثرة بأعلى اصواتهن . وكانت هنـــاك موسيقى عسكريـــه بهيجة تصدر من السماعة بصوت عال .

بعد الانتهاء من حمامها ، عـادت الى الدولاب لترتدى ملابسها الخارجية .

قالت لزميلتها التى تقف امام الدولاب المجاور لها : « هاللو ، فانى » .

وفانى هذه تعمل فى حجرة الزجاجات واسمها الثانى « كراون » ايضـا ، لأنه اذا كان سكان العـالم الذى يبلغ تعداده الفى مليون نسمة وليس لديهم أكثر من عشرة آلاف اسم يتداولونها ، فلا غرابة فى ذلك .

سألتها فانى : « مع من ستخرجين الليلة » ؟

ـ « مع هنرى فوستر » .

ـ « ثانية ؟ » .. وارتسمت على وجه فـانى

ملامح عدم الموافقة . **واكملت** : « اتقصدين ان تقولى لى انك مازلت تخرجين مع هنرى فوستر » ؟

فاجابت لينينا باحتجاج : « حسن ، ولعلمك ، انا لم اخرج معه الا منذ اربعة شهور فقط » .

ـ « اربعة ، شهور فقط ؟ ياله من شيء غريب ! والأغرب من ذلك » .. **واصلت فانى كلامها وهى تصوب ناحيتها اصبع اتهام** : « انه لم يوجد بديل آخر طوال تلك المدة . ام كان يوجد ؟ » .

واحمر وجه لينينا وقالت بجسارة : « انا لا ارى حتمية لوجود شخص آخر » ؟

ـ « آه ، انها لا ترى حتمية لوجود شخص آخر » رددت فانى ذلك ، وكانها تحادث شخصا آخر غير مرئى خلف كتفها . ثم **فجاة وبشيرة مغايرة قالت** : « لكننى اعتقد بجدية ، انه ينبغى عليك ان تكونى حريصة . فانه سلوك سيىء جدا ان تستمرى على هذا النحو مع رجل واحد . فى سن الأربعين او الخامسة والثلاثين يمكن ان يكون ذلك

مقبولا . لكن واحدة فى مثل سنك ، يا ليتينا تفعل ذلك ! كلا ، هذا لا يجوز حقيقه . وانت تعرفين كم يغضب المدير سلوك مثل هذا ، خاصة اذا استمر لفترة طويلة . اربعة شهور مع هنرى فوستر ، ولم تلتقى برجل آخر ـ لمادا ؟ سيثور المدير جدا لو علم بذلك » .

ـ « ليس هناك داع لأن تقطعى صلتك به تماما، واصلت فانى كلامها بنوع من التعاطف : « لا بأس ان تلتقى برجل آخر من وقت الى آخر ، هذا كل ما فى الأمر فهو يعرف فتيات أخريات ، اليس كذلك ؟

اقرت ليتينا بذلك :

ـ « بالفعل يعرف أخريات . لكن ان تثقى بأن هنرى فوستر هو الرجل المهذب الكامل .. فهذا خطأ على طول الخط . ثم ان هناك المدير الذى ينبغى أن نفكر فيه . فأنت تعرفين كيف يصر على السلوك الصحيح » .

طأطأت لنينا رأسها وقالت : « لقد ربت على ظهري بعد ظهر اليوم .

فقالت فاني بزهو : « أرأيت ، إذن ! هذا مثال للسلوك السليم . إنه نموذج للسلوك الملتزم تماما بالقواعد المرعية » .

قالت لينينا : « وحقيقة ، فلقد بدأت أشعر بشيء من الملل ، خاصة وليس هناك أحد سوى هنري كل يوم » . شدت فردة جوربها الأيسر **وسألت فاني بنبرة صوت حاولت ألا تظهر فيها اهتماما كبيرا :** « هل تعرفين برنارد ماكس » ؟

فوجئت فاني وانزعجت قليلا : « برنارد ماكس المسئول عن القسم النفسي ؟ هل تقصدين أن تقولي » .. ؟

ـ « ولم لا ؟ فبرنارد من فصيلة الفا ـ موجب . بالإضافة إلى أنه طلب أن أذهب معه إلى واحدة من معسكرات عزل الهمجيين . ودائما ما كنت أتطلع لرؤية أحد هذه المعسكرات » .

ـ « لكن سمعته » !

ـ « وماذا يهمني من سمعته » ؟

ـ « يقولون انه لا يحب اى نوع من الرياضة » .

ـ « يقولون ، يقولون ! » .. قالت لينبنا ذلك بسخرية .

ـ « كما انه يقضى معظم وقته مع نفسه ـ وحده » .

وانتاب وجه فانى شيء من الفزع .

ـ « حسن ، لكنه لن يكون وحده عندما يكون معى . وعلى اى حال من الأحوال ، لماذا يتصرف الناس معه بشكل سيء جدا ؟ فأنا ارى انه لطيف جدا . وابتسمت لنفسها ، وكم كان خجله لطيفا ! وكم كان مرتعبا امامها ـ كما لو انها حاكمة العالم وهو مجرد عامل من فصيلة جاما ـ سالب .

قالت فانى : « لكنه قبيح الشكل جدا » .

ـ « لكنى احب منظره جدا » .

ـ « بالاضافة الى انه ضئيل الحجم » .

وبان الاشمئزاز على وجـه فنى . لأن صغير الحجم كان يعد شيئا مزعجا جدا ويدل على انحطاط مرتبته .

قالت ليثينا : « انا ارى انه جميل جدا . واشعر بأننى أود الالتقاء معه كحيوان اليف . انت تعرفين . مثل القطة » .

صدمت فانى وقالت : « يقولون ان احد اعمـال ارتكب خطأ ازاءه وهو ما نزال فى الزجاجه ـ فقد ظن العامل انه من فصيلة جاما وبدأ فى معالجته بالمستوى الأدنى قبل اكتشـاف الخطـأ . وهذا هو السبب فى ان أصبح قصيرا جدا . .

ـ « هذا كلام فارغ ! » .

قالت لينينا ذلك بغضب شديد واعطت كل منهما

ظهرها للأخرى ، وواصلت فانى ولينينا تغيير ملابسهما فى صمت . ثم قالت لينينا :

ـ « هاندا ، جاهزة ! » .

وظلت فانى صامته ، ورأسها متجهة بعيداً : « دعينا نتصالح يا عزيزتى فانى . هل شكلى على ما يرام » ؟

كانت سترتها من قماش صناعى ، من ألياف زجاجية خضراء اللون ، وفرو بفراء صناعى عند أطرافه وأسفل الكمين . وعلى رأسها قبعة بيضاء أنيقة تظلل عينيها . ارتدت السترة فوق بنطلون أخضر قصير ، مع جورب أبيض صوفى من الألياف الصناعية يصل تحت ركبتيها . وحذاء أخضر لامع . وحول وسطها حزام أخضر من الجلد الصناعى ، به جيوب مليئة بحبوب منع الحمل التى يمدونهم بها .

ـ « رائعة ! » .. صاحت فانى بابتهاج . فهى لا تستطيع أبداً مقاومة سحر لينينا طويلاً .

واستطردت : « يا لروعة وحلاوة حرام مالتوزيان (*) هـــذا . انا اود الحصول على واحد مثله » .

واثناء ذلك ، هنـــاك بعيدا فى اســـفل ، كانت ضوضاء الماكينات مستمرة ، وارفف الزجاجات تتحرك فوق السيور المتحركه ، ببطء وانتظـــام لمسافة ثلاثة وثلاثين سنتيمترا فى الساعة ، تحت ومضـــات ذلك الضوء المعتم للمصابيح الحمراء التى لا تحصى .

(★) توماس مالثوس : كاتب انجليزى (١٧٦٦ - ١٨٣٤) نشر مقالا عن زيادة السكان .. والمقصود بحرام مالتوزيان هـــا ، انه يحتوى على حبوب منع الحمل .

الفصــل الرابــع

كان المصعد مزدحمــا بمجموعــة من الرجــال القادمين من غرفــة تغيير ملابس الألفا ، واستقبلت لينينا بكثير من انحناءات الرؤوس والابتسامات عند دخولها المصعد . فلقد كانت فتاة مشهورة ، بالاضافة الى انهــا من وقت لآخر ، قضت مع اغلبهم ليلة على الأقــل .

وفى ركن المصعد رأت برنارد ماكس بجســده الصغير الهزيل ، ووجهه الجاد .

« برنارد ! » وتحركت الى جانبه . « كنت ابحث عنــك » .

وكان صــوتها مسموعا بوضــوح رغم ضجــة المصعد . وتطلع الآخرون حولهم فى فضــول وواصلت كلامها . « كم احب جدا أن اذهب معك فى شــهر

بوليو » . (وكانت تقصد هنا أن تعلن للجميع بأنها سوف توقف علاقتها الحميمة مع هنري) . **وقالت لينينا بابتسامة دافئة** : « هـــذا ، إذا كنت ما تزال ترغب فى » .

واحمر وجه برنارد الشاحب . « لمـــاذا ؟ » .. انتابتها الدهشة ، لكنها فى نفس الوقت أسعدها تأثير قوتها الغريبة عليه .

ـ « أليس من الأفضل أن نتكلم بخصوص ذلك فى مكان آخر » ؟ قال ذلك برنـــارد وبدا عليـــه الاضطراب الشديد .

فكرت لينينا : « كما لو أننى قلت شيئا مفزعا . لم يكن ليبدو بمثل هـــذا الانزعاج لو أننى قلت نكتة قذرة .. أو سألته من هى أمه أو شـــيئا من هـــذا القبيل » .

قال وقد اكتسى وجهه بالضيق : « أعنى ، أنه فى وجود كل هؤلاء الناس .. ! » .

ضحكت لبينا بصوت عال وبمرح صادق **وقالت** : « كم أنت ظريف ! » وكانت حقيقة وبصدق تعتقد أنه يمزح : « سوف تخطرني قبلها بأسبوع على الأقل ، أليس كذلك ؟ » **ثم واصلت كلامها بنبرة مختلفة** : « أعتقد أننا سنستقل (صاروخ الباسفيك الأزرق) ؟ هل تقلع من « برج تشارلنج تي » ؟ أم من هامستد ؟

وقبل أن يتمكن برنارد من الرد توقف المصعد .

ـ « السطح ! » صاح عامل المصعد وهو من فصيلة « أسيلون ـ سالب » بصوته الفسيح . ثم فتح الباب .

كان الجو دافئا ومشمسا في السطح . كان وقت ما بعد الظهيرة الصيفي ، مليئا بصوت طائرات الهليوكوبتر المنتظم العابرة في سلام ، والآبار المتناهية البعد للطائرات الصاروخية وهي تزيد من سرعتها وتبتعد عن الأنظار ، في السماء الرقاء اللامعة على مسافة خمسة أو ستة أميال ، تلك الآثار التي كانت

تتداعى فى الهواء ابرقيق ، وكانهـا منحة الهيـة . سحب برنارد نفسا عميقا . وتطلع الى السـماء ، ثم تطلع حوله ، واخيرا الى وجه لبنينا .

ـ « اليس الجو جميـلا ؟ » . جـاء صـوته مضطربا بعض الشيء .

ابتسمت له بتعبير يفيض بكل معـانى التعاطف **واجابت بحرارة** : « مناسـب جدا للعب الجولف . والآن يجب أن اطير ، يا برنارد . فهنرى سوف يتضايق لو اننى تركته ينتظر . ارجو ان تدعنى اعرف تاريخ السفر ، قبلها بوقت مناسب » . ولوحت له بيدها وهى تجرى عبر السطح الفسيح تجـاه مظلة انتظـار الهليوكوبتر . وقف برنارد يراقب ومضـات جوربها الأبيض ، وركبتيها اللتين لوحتهما الشـمس وهمـا تنثنيان وتنفردان ، وحركة البنطلون القصير المحكم عليها ، وفوقه السترة الخضراء ، وهى تجرى بخفـة فوق السطح . واكتسى وجهه بمسحة من الألم .

كان هنرى قـد اخرج طائرته من حظيرتها ،

وعندما وصلت لينينا ، كان قد جلس بالفعل على مقعد القيادة منتظرا .

ـ « تأخرت اربع دقائق » . كان ذلك كل ما قاله عندما صعدت الطائرة وجلست الى جواره . ادار المحركات وجذب ذراع الحركة . فانطلقت الطائرة كالقذيفة في الهواء . وزاد هنرى السرعة ؛ فغدا صوت المروحة عاليا وحادا . واظهر عداد السرعة انهما يرتفعان بسرعة اثنين كيلو متر في الدقيقة على الأقل . وبدت لندن أصغر وأصغر من تحتهما . وكذلك العمرات الشاهقة أصبحت خلال ثوان قليلة لاشيء سوى أعمدة بيضاء تنبثق من حديقة خضراء . ووسط هذه الأعمدة كانت قمة « برج تشارنج تى » الاسطوانية تعكس أضواء رصيف هبوط الطائرات تجاه السماء .

وكانت هناك سحب بيضاء ترقد ناعسة في السماء الزرقاء فوق راسيهما . وفجأة هبطت حشرة صغيرة حمراء لامعة من على بعد واخذت تئز وهي تهبط .

قال هنرى : « هذا هو الصاروخ الأحمر ، قادما توا من نيويورك » ثم نظر الى ساعته **وقال :** « سبع دقائق تأخير عن موعده » **وهز رأسه واضاف :** « ان خطوط الأتلانتك ـ تعدو أقل وأقل انضباطا » .

خفض سرعة مروحة الهليوكوبتر فكفت عن الصعود ، ودفع ذراع الحركة الى الأمام . وعندما أخذت الطائرة ما يكفيها من السرعة ، لتنطلق الى الأمام ، ابطل دوران المروحة الدافعة .

طارا فوق العديد من المصانع والمصانع . وفى منطقة ما شاهدا جيشا من العاملين يرتدون الملابس الكاكية والسوداء يقومون برصف الطريق الغربى الكبير . وبدا مصنع التليفزيون فى برنتفورد وكأنه مدينة صغيرة .

قالت ليتينا : « لابد انهم يغيرون الوردية . يا لهذا العدد المهول الذى يرتدى الكاكى » . ودون وعى منها أخذت تسترجع دروس التعليم أثناء النوم التى تلقتها فى سنواتها المبكرة . فتيات الجاما وفتيات

الابسيلون الأقل حجما يتجمهرون أمام المدخل ، أو يقفن فى صفوف فى محطات المونوريل . كان سطح المبنى الرئيسى يموج بحركة الهليوكوبتر الصاعدة والهابطة .

فالت لينينا : « بحق كلمتى ، انا سعيدة لأننى لست من فصيلة حاما » . وبعد عشر دقائق وصلا الى ملعب الجولف ، ولعبا أول جولة .

* * *

اسرع برناود يعبر السطح بسرعة وعيناه تنظران الى اسفل . واحس أنه مشتت ووحيد . حتى لينينا جعلته يعانى ، رغم أن مقصدها كان حسنا . تذكر تلك الأسابيع التى عاشها مترددا ، وكان خلالها يتطلع ويرغب ويياس بأن تكون لديه الشجاعة يسألها . وما أن يجرؤ على القيام بالمحاطرة حتى ينتابه الخجل من أن يقابل بالرفض المشوب بالاحتقار ؟ لكن وقد قالت نعم ، فيالها من سعادة ! لكن رغم انها قالت ذلك . الا انه مازال يائسا ، لأنها فكرت ظهر هذا اليوم بالذات لتلعب الجولف ، وتحتم عليها أن تسرع

لتقابل هنرى فوستر ؛ لأنها لابد وقد اكتشفت انه مضحك لأنه لم يرغب فى الكلام عن شئونهما الخاصة جدا وسط الناس . بائس ، بكل معانى الكلمه ، لأنها تصرفت كما ينبغى لأى فتاة انجليزية فاضلة تتمتع بصحة جيدة ، أن تتصرف ، وليس بأسلوب آخر غريب أو شاذ .

فتح باب حظيرة طائرته وسادى على اثنين من العمال من فصيلة « دلتا ـ سالب » ليدفعا طائرته الى السطح . وكان يقوم برعاية حظائر الطائرات رجال من فصيلة بوكانوفسكى ، كان الرجلان متشابهين وصغيرى الحجم لونهما أسود وفى منتهى القبح . وألقى برنارد أوامره اليهما بحدة باحساس من هو غير متأكد من نفوذه فقد كان طول برنارد يقل ثمانية سنتيمترات عن الطول العادى لفصيلة الألفا . وعند تعامله مع من هم أقل مرتبة ، كان يتذكر دائما الخطأ الذى ارتكب فى حقه بنوع من الألم ؛ كان يجعله يتكلم معهم بخشونة زائدة ليست من طبيعته .

صعد الى الطائرة ، ولم تمض دقيقة حتى كان طائرا تجاه الجنوب ، صوب النهر .

كانت اقسام الدعاية المختلفة وكلية هندسة المشاعر والأحاسيس ، تتمركز فى مبنى واحد يتكون من اربعة وستين دورا ، فى شارع فليت . فى الدور الأرضى والدور الأول كانت توجد مطابع ومكتب ثلاث جرائد لندنية كبيرة ـ « ذى اورلى راديو » وهى جريدة الطبقة العليا ، « الجاما جازيت » بلون أخضر باهت ، ثم جريدة من يلبسون الكاكى وكلماتها من مقطع واحد ، وهى جريدة « ذى دلتا ميرور » . بعد ذلك يأتى قسم الدعاية بواسطة التليفزيون والأصوات الصناعيه والموسيقى ـ وهذه تشغل اربعة وعشرين طابقا من المبنى . وفى أعلى معامل الأبحاث وحجرات اختبار الصوت حيث يقوم كتاب الصوت والمؤلفون الموسيقيون بعملهم الرقيق . أما الدور الأخير ، الثمانون فتشغله كليه هندسة المشاعر والأحاسيس .

حط برنارد على سطح مبنى الدعايه ونزل من الطائرة . وامر احد العمال الجاما قائلا : « اتصل

بالسيد هلمولتز وقل له ان السيد برنارد ماركس ينتظرك على السطح » .

وجلس واشعل سيجارة .

كان « هلمولتز واتسون » يقوم بالكتابة عندما جاءته الرسالة .

ـ « قل له انني قادم على الفور » ، قال ذلك ووضع السماعة ، ثم التفت الى سكرتيرته **وقال لها :** « سأترك لك مهمة ترتيب الأمور » وواصل كلامه بنفس النبرة الرسمية ، ولم يعر انتباها لابتسامتها المغرية ، ونهض واتجه بسرعة ناحية الباب .

كان رجلا متين البنيان واسع الصدر عريض المنكبين . لكنه خفيف الحركة ، بأسلوب ما كان رجلا وسيما ومرموقا ، كما كانت سكرتيرته تصفه دائما ولا تمل . بأن كل سنتيمتر فيه من طراز « الفا ـ الموجب » . اما من حيث المهنة فقد كان محاضرا فى كلية هندسة المشاعر والأحاسيس (قسم

التاليف) وفى وقت راحته من نشاطاته التعليمية كان يعمل مهندسا للمشاعر . كما انه يكتب بانتظام لجريدة « ذى اورلى رادبو » ، كما أنه موهوب فى تاليف الشعارات .

كان راى رؤسائه فيه انه « لديه المقدرة ومحتمل » .. ثم يهزون رؤوسهم ويخفضون أصواتهم ويقولون : قدرته اقل مما ينبغى !

وبالفعل ، كانت قدرته اقل مما ينبغى ـ لقد كانوا على صواب . ونوادر الذكاء الشديد التى كانت لدى هلمولتز واتسون ، تشبه تلك ، التى لدى برنارد ماركس ، نتيجة لقصور نموه الجسمانى الذى كان سببا فى عزله برنارد عن رفاقه من الرجال . ورغم ان برنارد عانى طوال حياته من هذا الشعور ، فان هلمولتز لم يدرك ذلك الا منذ عهد قريب فقط . كان رياضيا من الدرجة الأولى ، عاشقا لا يعرف الملل ؛ رجل مجتمعات ممتاز ، مشهورا فى المجتمع ، الا انه لم يتنبه الا فجاة بان الرياضة والنساء والنشاطات

المهنية والاجتماعيـــة ، ليست كما كان يعتقد ؛ أهم الأشياء فى الحياة . حقيقة ، لقد كان يهتم بشىء آخر داخل أعماق نفســـه . لكن بماذا ؟ تلك هى المشـــكلة التى جاء برنارد ليناقشها معه . فلا بأس طالمـــا أن هلمولتز كان يستحوذ دائمـــا على الكلام كله ان يستمع الى صديقه مناقشـــا ، مرة على الأقل .

وعندما خرج هلمولتز من المصعد تعلقت بذراعه ثلاث فتيـــات فاتنات من قســـم الدعـــاية بالصـــوت الصـــناعى .

ـ « أوه هلمولتز ، عزيزنا ، نرجـــوك أن تأتى للعداء معنا والنزهة فى اكســـمور » وتعلقن فى ذراعـــه باذلات جهدهن لاقناعه .

هز رأسه رافضا ، وشق طريقه وسطهن **وقال :** « لا . لا » .

ـ « نحن لن ندعو أى رجل آخر » .

لكن هلمولتز لم يتأثر حتى بهذا الاغراء المهيج .

وقال : « لا ، أنا مشغول » .. وواصل سيره بحزم . فتبعته الفتيات . ولم تتوقف مطاردتهن له ، الا حين صعد الى طائرة برنارد وأغلق الباب . وجرحت مشاعرهن لرفضه .

وعندما انطلقت الطائرة فى الجو قال : « آه ، من أولئك النسوة ! آه ، منهن ! » وهز رأسه فى ضيق .

ـ « فى منتهى الفظاعة » . تظاهر برنارد بموافقته رغم انه يود فى أعماقه لو يستطيع أن يحظى بالكثير من الفتيات مثلما يفعل هلمولتز ، ويتعرض لتلك المتاعب الصغيرة . وتملكته حالة مفاجئة وملحة للتباهى فقال وهو يحاول المحافظة على نبرة الزهو فى صوته : « سآخذ ليننا كراون معى الى نيومكسيكو » .

ـ « صحيح ؟ » فالها هلمولتز فى عدم اهتمام على الاطلاق . ومرت باقى الرحلة القصيرة فى صمت . عندما وصلا ، وجلسا بارتياح فى حجرة برنارد بدأ هلمولتز يتحدث بصوت بطىء .

وسألته : « الم تشعر ابدا ، كما لو ان شيئا ما بداخلك وتنتظر الفرصة فقط ، لتمنحه الفرصة الخروج ؟ نوع من القوى الزائدة ، ممكن ان تستغلها لو عرفت كيف » ؟

ـ « نقصد كل المشاعر التى يمكن ان يشعر بها الانسان لو ان الأمور كانت مختلفة » ؟

هز هلمولتز رأسه وقال : « ليس بالضبط . انا افكر فى شعور غريب ينتابنى احيانا . شعور بأن لدى شيئا مهما أود ان أصرح به . واملك القوة كى أقوله ـ لكننى فقط لا اعرف ما هو . ولا استطيع الاستفادة من هذه القوة . لو كانت هناك طريقة أخرى مختلفة للكتابة .. أو اى شىء اخر مختلف أكتب عنه ، فأنا موهوب فى خلق العبارات ، التى يمكن ان تثيرك ، حتى لو كانت عن موضوع تعرفه الجميع بالفعل . لا يكفى ان تكون العبارات جيدة ، لكن ما تضفيه عليها ينبغى ان يكون جيدا ايضا » .

ـ « لكن كتاباتك كلها جيدة ، يا هلمولتز » .

ـ « أوه ، بقدر ما هي عليـــه . لكنها تسير في طريق محـــدود ، فهي ليست ذات أهميــة بما فيه الكفايه ، بأي حـــال من الأحـــوال ، أنا أشـــعر انه بامكاني أن أفعل شيئا أكثر إهميـــة . أجمل ، وأكبر قوة ، وأكثر عنفا . لكن ما هو ؟ ماذا هنـــاك إكثر اهميه يمكن قوله ؟ الكلمات هي أعظم الأسلحه قوة ؛ إذا استعملتها بشكل مناســب ولســوف تخترق اى شيء . لكن ما فائدة ذلك ، اذا كانت الأشياء التي نكتب عنهـــا لا تكمن فيهـــا قوة ؟ هل باستطاعتك أن تقول شيئا عن لاشيء ؟ هذه مشكلتي . انا أحـــاول وأحـــاول ...

ـ « هس ! » .. قالها برنارد فجـــأة ، وهو يرفـــع أصبعـــه محـــذرا ، **وقـــال بهمس** : « انهم يتســـمعون ، أنا أشـــك أن هنـــاك شخصـــا وراء البـــاب » .

نهض هلمولتز وتحرك بهـــدوء عبر الحجـــرة ، وبسرعة شديدة فتح الباب على آخره . وبالطبع لم يكن هناك احد .

ـ « أنا آسف ، » .. قالها برنارد وهو يشعر بالارتياك وبدا عليه الحرج **واستطرد** : « اعتقد انني تركت هذه الأمور تقلقني بعض الشيء . فعندما يشك فيك الناس ، فتبدأ أنت ايضا تشك فيهم » .

ومر يده على عينيه **وتنهد** : « أنت لا تعرف ما لاقيت من متاعب مؤخرا » . قال ذلك والدموع تغالب صوته ، وفجأة اكتسحته موجة من الاشفاق على النفس **وقال** : « أنت لا تدري ما حدث لي . لا تدري تماما » .

وكان هلمولتز واتسون يصغي اليه باحساس معين من عدم الارتياح . **وقال لنفسه** : « يا لبرنارد الصغير المسكين » لكنه في نفس الوقت احس بالخجل الشديد بالنسبة لصديقه . فقد كان يود أن يظهر ولو قليلا من الكبرياء !

الفصـــل الخامس

فى الســـاعه الثامنة أخذت الأضـــواء تنطفىء . وأعلنت سماعات نادى لعب الجولف بأكثر من صوت بشرى انتهاء وقت اللعب . توقف لينيا وهنرى عن اللعب وسارا عائدين الى النادى .

كانت صفه طائرات الهليوكوبتر التى لا تنتهى تملأ الجو المظلم . وكل دقيقتين ونصف تعلن جرس وصفير صـارخ عن رحيل احد قطـارات الموبورل الخفيفة التى تقل عمال الدرجة الأدنى من محـــائل مختلفة عائدين الى المدينه .

صعدت لينيا وهنرى الى طائرتهما . واقلعـا فى الجو . وعلى ارتفاع ثمانمائة قدم خفض هنرى من سرعة الطائرة ؛ وحلقا المحطة او لحظتين فوق المنظر

المتلاشي تحتهم وبدت غابة « برنهام بيتشز » وكأنها بحيرة كبيرة من الظلام مقابل افق السماء العريض اللامع . الأفق الأحمر البعيد ؛ وتلاشي آخر ما تبقى من اشعة الشمس باللون البرتقالي يليها الأصفر والأخضر المائي الشاحب . أما في الشمال فيما بعد الأشجار ، فكان يوجد مصنع لتصنيع غذاء الأطفال الصناعي ، وبدت الاضاءة الشديدة من خلال نوافذ المبنى المكون من عشرين طابقا . وظهر بينهما مبنى نادي الجولف والبنايات الضخمة لايواء العمال الأدنى مرتبة ، وفي الجانب الآخر من خلال حائط يقسم المكان نصفين ظهرت منازل صغيرة محجوزة لفصيلتي الفا وبيتا .. وكانت الممرات المؤدية الى محطات قطارات المونوريل سوداء بسبب تلك المجموعات الكبيرة من عمال الطبقة الأدنى . ومن تحت سقف زجاجي . انطلق أحد القطارات المضيئة الى الجو . واثناء تتبعهم لقطار الفضاء في الظلام لفت نظرهما بنايات « حرق الجثث » . ولسلامة الطيران الليلي ، فقد أضيئت المداخن باضاءة شديدة ، تومض بعضها باشارات حمراء في قمتها .

وسالت لينينا مستفسرة : « لمـادا توجد حول المداخن تلك الأشياء التي تشبه الشرفات المسورة ؟ » .

فشرح لها هنرى قائلا : « لاستعادة الفوسفور من الجو ، فالغازات التي تخرج من المداخن تعالج فى اربع مراحل . والفوسفور الذى يفقد عادة بسبب حرق جثة اى شخص ، يستعيدونه بهذه الطريقة ويستعيدون أكثر من ٩٨٪ منه . اكثر من كيلو ونصف مقابل كل شخص . وناتج تلك العملية حوالى اربعمائة طن من الفوسفور كل عـام ، من انجلترا وحدها . كان هنرى يتكلم بسعادة وفخر ، وكله ابتهاج بتلك الحقيقة وكانه المسئول عنها . ثم قال : « من الطريف ان نكون مفيدين من الناحيـة الاجتماعية حتى بعد ان نموت ، ونجعل النباتات تنمو » .

كانت لينينا قد تحولت ببصرها اثناء كلامه ، واخذت تنظر تحتها الى محطة المونوريل ، ووافقتـه قائلة : « طريف فعلا » ، ثم قالت : « لكن اليس من الغريب جدا ان فصيلتى الألفا والبيتا لا يرغبون فى

راءه المزيد من الساعات ، مكتفين بما تقوم به أولئك الحمقى من تفاصيل الجاما والدلتا والابسيلون » .

قال هنرى : « كل الناس متساوون من الناحية الجسمية والكيمائية . علاوة على ذلك ، حتى الابسيلون تقوم بخدمات قيمة » .

ـ « حتى الابسيلون ... » وفجأة تذكرت لينينا مناسبة ما . عندما كانت طفلة تلميذة في المدرسة ، فقد استيقظت أثناء الليل ولاحظت لأول مرة ذلك الهمس الذى يداعب طوال الوقت عندما تنام . ورأت ثانية أشعة ضوء القمر ، وصف الأسرة الصغيرة البيضاء ، وسمعت مرة ثانية ذلك الصوت الرقيق الذى كان يقول تلك الكلمات لا تنسى ، لن تنسى أبدا ، لأنها رددت مرات عديدة أثناء الليل : « كل ما يعمل من أجل الآخر . لا يمكن أن نعيش دون الآخرين . حتى الابسيلون لهم فائدة . لا يمكن أن نحيا دون الآخرين ... » تذكرت لينينا صدمتها الأولى من الخوف والدهشة وشكوكها وتساؤلاتها ، أثناء

تمددها متيقظة لمدة نصف ساعة ، بعد ذلك وتحت تأثير التكرار الذى لا ينتهى ؛ وهدوء ذهنها التدريجى . والاطمئنان الآمن للنوم ، **وقالت بصوت عال :** « أعتقد ان الابسيلون لا يهتمون بكونهم ابسيلون » .

ـ « بالطبع لا يهتمون . وكيف يتسنى لهم ذلك؟ فهم لا يعرفون سوى أن يكونوا كذلك . نحن نهتم بالطبع . لأننا نكيفنا بطريقة مختلفة . بالاضافة الى اننا بدأنا الحياة بطريقة مختلفة » .

فقالت لنينا باعزاز وتقدير : « انا سعيدة لأننى لست ابسيلون » .

فقال هنرى : « لو انك كنت ابسيلون ، إنما كنت تتمنين أن تكونى غير ذلك . لانك تكيفت على ذلك الوضع . ولقدمت الشكر على انك لم تكونى من فصيلة « بيتا أو الفا » .

حرك عصا قيادة الطائرة الى الأمام واتجه صوب لندن . خلفهم فى الغرب ، كانت اشعة الشمس البرتقالية تتلاشى تقريبا . **وانتشرت** فى السماء كتلة

من السحب السوداء . وبينما كانا يطيران فوق محرقة الجثث ارتفعت الطائرة فوق اعمدة الهواء الساخن المتصاعد من المداخن ، لتهبط ثانية فجاة عندما مرت داخل تيار هواء بارد .

وضحكت لينينا بسعادة : « يا له من شيء ظريف » !

واكتسى صوت هنرى بنبرة حزينة للحظة وقال : « هل تعرفين سبب ما حدث ؟ لأن أناسا اختفوا نهائيا . صعدوا خلال سحب الغاز . وقد نتساءل بنوع من الفضول من كان ذلك الشخص .. رجلا أم امرأة ، من فصيلة الفا أم من فصيلة ابسيلون » .

اختتم كلامه قائلا : « على اية حال هناك شيء واحد نحن متأكدون منه ، مهما يكن الشخص ، فقد كان سعيدا عندما كان حيا . كل الناس الآن سعداء » .

واعادت لينينا قوله : « اجل ، كل الناس الآن سعداء » فلقد سمعوا تلك الكلمات مرات

ومرات ، مئـات المرات ، وفى أوقات عديدة خـلال الليل على مدى اثنى عشر عاما .

كان برنارد يلتحق كل خميسين بحفل التضامن الاجتماعى . وبعد عشاء مبكر مع هلمولتز ودع صديقه واستقل تاكسيا طائرا من على السـطح ، وطلب من السائق ان يتجه الى مجمع فوردسون للغناء . ارتفعت الطائرة الى اكثر من مائتى متر ثم توجهت صـوب الشرق . وعندما استدارت ظهر امـام عينى برنارد المبنى الضخم الجميل لمركز الغناء . يفيض بالأضواء ، ويومض مثل الثلج الأبيض بواجهـه التى تبلغ ثلاثمائة وعشرين مترا من الرخـام الصـناعى ، فوق « تل لدجبت » . ويوجد فى كل ركن من اركانه الأربعـة التى تستخدم كمهابط للهيلوكوبتر علامه ضخمة على هيئة حرف T مضـاءة باللون الأحمر . وانبعثت من خلال أفواه واسـعة لأربع وعشرين آله ترومبيت ذهبية موسيقى صناعية وقورة .

ـ « على اللعنـة لقد تأخرت » قـال برنارد

لنفسه عندما وقع بصره على ساعة « بيج هنرى »(*). وتأكد من ذلك وهو يحاسب التاكسى . فلقد دقت ساعة « بيج هنرى » . وسمع صوتا وقورا صادرا من آلات الترومبيت الذهبية يردد : « فورد ، فورد ، فورد » .. ثمانى مرات ، فأسرع الى المصعد .

كانت القاعة الكبرى المخصصة للاحتفال بيوم فورد ، والأغانى الجماعية الأخرى ، فى الدور الأول من المبنى ، فوقها وبمعدل مائة حجرة للدور ، كانت توجد سبعة آلاف حجرة تستخدم لمجموعات التكافل الاجتماعى للقيام بواجباتها لمدة اربع وعشرين ساعة ، هبط برنارد الى الدور الثالث والثلاثين ، واسرع عبر الممر ، ووقف مترددا للحظه أمام الحجرة رقم (٢٢١٠) ، ثم قرر وفتح الباب .

شكرا لفورد ! اذ لم يكن الأخير . فما زالت هناك ثلاثة مقاعد من الاثنى عشر مقعدا التى تحيط المائدة

(★) على غرار ساعة « بج بن » الموجودة على واجهة البرلمان الانجليزى .

لم تشغل بعد . فتسلل الى اقرب كرسى بهدوء على قدر ما يستطيع . والتفتت اليه الفتاة التى على يساره مستفسرة **وقالت** : « مادا لعبت بعد ظهر اليوم ؟ العارا ، ام العابا الكترونية مغناطيسية » ؟

نظر برنارد اليها (أوه فورد ! انها مورجانا روث تشيلد) واعترف وهو يشعر بمنتهى الخجل . انه لم يلعب ابا من اللعبتين . وحملقت فيه « مورجانا » بدهشة ، وحدث صمت مربك .

ثم التفتت للناحيه الأخرى ، ودخلت فى نقاش مع جارها الذى كان على يسارها ، وله اهتمام اكثر بالرياضة .

ـ « بداية طيبة بجلسة التكافل الاجتماعى » . فكر برنارد بيأس . لو انه اعطى لنفسه فرصة فقط ليلقى نظرة على المكان بدلا من الجلوس على اقرب كرسى ! لكان فى امكانه ان يجلس بين « فيفى برادلو » و « جوانا ديرل » . بدلا من الكرسى الذى زرع نفسه فيه دون تفكير ، بجوار مورجانا . مورجانا ! أوه

فورد ! وحاجباها السوداوان ـ حاجباها بصفة خاصة ـ لأنهما يلتقيان فوق أنفها . آه فورد ! . على يمينه كانت « كلارا تيبردنج » صحيح ان حاجبي « كلارا » لا يلتقيان . لكنها كانت سمينة جدا . في حين ان « فيفي » و « جوانا » شقراوان ، ملامحهما جميلة في غير صحامة . وها هو الرجل « توم كوجاش » ثقيل الظل يجلس بينهما .

كان آخر من وصل هي « ساروجيني انجلز » .

قال رئيس المجموعة بحدة : « لقد تأخرت ، لا داعي لأن يحدث ذلك مرة ثانية » .

اعتذرت ساروجيني وتسللت الى مقعدها بين « جيم بوكانوفسكي » و « هربرت باكونين » . والآن اكتملت حلقة مجموعة التكافل الاجتماعي . رجل ، وامرأة ، رجل ، وامرأة ، في حلقة متصلة حول المائدة . والمطلوب من الاثني عشر فردا ، ان يصبحوا فردا واحدا ، بأن يتواصلوا ، يذوبوا في بعضهم ،

ويكونوا على استعداد لأن يتخلوا عن ذواتهم الاثنى عشر المتنافرة ، ويصبحوا كائنا واحدا .

وقف رئيس الجلسة ورسم علامة حرف T ، وادار جهاز الموسيقى الصناعية ، فتدفقت ارق واعذب ايقاعات للطبول ، واحلى الأنغام للآلات ، التى اخذت تردد باختصار لحنا مألوفا من الترنيمة الأولى للتضامن . وهكذا ، وهكذا . اخذ اللحن ، يتفاعل ويستحوذ ، ليس على الأذن ، ولا على العقل فقط ، انما يستحوذ على القلب ، والروح .

ورسم رئيس الجلسة علامة حرف T وجلس . لقد بدات الجلسة . وكانت حبوب « السوما » (*) المباركة موضوعة فى وسط مائدة العشاء . وتم تمرير كأس آبس كرم التوت « بالسوما » ، من يد الى يد مع الجملة المعهودة . سأشرب حتى ارتوى) ، اثنى عشر مرة ، وبمصاحبة

(*) حبوب السوما ـ حبوب مخدرة .

الأوركسترا الصناعي . غنيت الترنيمة الأولى للتضامن .

فورد : نحن اثنا عشر ، فلتجعلنا واحدا ..

مثل القطرات فى نهر الحياة ..

أوه ، فلتجعلنا الآن نجرى سويا ..

نجفف السيارة العتيقه ..

اثنا عشر بيتا من الشعر ، مليئة بنفس المشاعر العميقة ، ثم مررت الكأس المفضلة للمرة الثانية .. وشرب الجميع .. والموسيقى تعزف بلا كلل . والطبول تدق ، وعنوا برسمة التكافل الثانية .

تعالوا جميعا ولنكن اصدقاء ..

نمحو الاننى عشر فردا ليكونوا واحدا !

لن نليث أن نموت ، وعندما ننتهى ..

لن تلبث حياتنا الأكبر فى البدء .

اما عشر بيا مرة اخرى . ... المر
... معمول السوما قد بدا ... .
و... الحدود . ... الحب
الأحوية ... على ... الوجود ...
بشيء من السعادة . ...
روث تشيلد » ... جيدة ان ...
لها . لكن .. ...
... في واحد ... موجود ...
... . لم يستطع الاحساس ... الى
مورجانا .

ومرت ... عبر ...
الجلسة يده ، واعطى ... .
في انشاد الترنيمة ...
الأبيات ...
... رئيس الجلسة ... . فجأة ...
صوت من فوق رؤوسهم : صوت ...
... موسيقية إكثر من كونه مجرد صوت ...
... ذائق مليء بالحب . وبدا ...

« آوه ، فورد ، فورد ، فورد » ، وبطبقة صوتيه هادئة خافتة ، فى كل مرة يردد فيها الاسم . وعمر السامعين احساس جياش ، قدات الدموع تتساقط من أعينهم .

وفجأة صاح الصوت عاليا : » اصغوا ! » . فاصغى الجميع . وبعد فترة صمت انطلق الصوت ثانية ، لكن فى همس .. كان مؤثرا اكثر من الصوت العالى . « خطوات الكائن الأعظم » وردد الكلمات ثانية ، « خطوات الكائن الأعظم » . وتلاشى الهمس . « خطوات الكائن الأعظم على السلم » . وحل الصمت مرة اخرى . وزاد اضطراب المجموعة الى الحد الذى لايمكن السيطرة عليه . أوه ـ انهم يسمعون خطوات الكائن الأعظم . يسمعونها آتية ببطء السلم ، فتقترب وتقترب على السلم غير المرئى . وفجأة حلت اللحظة الحاسمة . فلقد هبت « مورجانا روث تشيلد » واقفة على قدميها ، وعيناها جاحظتان وشفتاها منفرجتان .

وصاحت : « انني اسمعه ، اني اسمعه » !

وصرخت ساروجسى انجلز : « نعم ، انه قادم » !

ووقف « فيفى برادلو » و « توم كواجوش » وصاحا : « نعم ، انه قادم ، نحن سمعناه » .

وصاحت « حوانا » ، « اوه ، اوه ، اوه » .

وصرخ جيم بوكانوفسكى : « انه قادم » .

ومال رئيس الجلسة الى الأمام وبلمسة من يده : انطلق صوت ترومبيت نحاسية محمومة ، وهدير طبول .

ـ « اوه ، انه قادم ! » صرخت « كلارا ديتردنج » حتى يخيل ان احبالها الصوتية قد قطعت .

واحس برنارد بأن الوقت قد حان ليعمل شيئا ؛ فقفز هو الآخر وصاح : « انا أسمعه ، انه قادم » . لكن ذلك لم يكن صحيحا . فهو لم يسمع شيئا . كما انه على يقين بأن احدا لن يأتي . لا احد ـ رغم تلك

الموسيقى ، ورغم ذلك الاضطراب والانارة المتسامية . . لكنه لوح بذراعيه ، وصاح عاليا مثل اى واحد فيهم ، وعندما بدا الآخرون فى دق اقدامهم وبحركوا الى الأمام ، دق هو الآخر قدميه وبدأ يتحرك .

وبداوا يدورون فى حلقة راقصه ، وكل منهم يضع يديه على خلفية الراقص أمامه ، يدورون ، ويدورون ، يصيحون معا ، يدقون الأرض بأقدامهم مع ايقاع الموسيقى ، وفى نفس الوقت تضرب كل يد الخلفية التى امامها ، اثنا عشر زوجا من الأيدى تضرب وكأنها يد واحدة . بحيث نسمع صوت الصفعات على الخلفيات الاثنى عشر كصفعة واحدة . اثنا عشر مثل واحد ، اثنى عشر مثل واحد : « انا اسمعه انا اسمعه قادما » وتغدو الموسيقى أسرع ، ودقات الأقدام : والأيدى التى تضرب الخلفيات التى أمامها . وعلى حين فجأة يسمع صوت صناعى مؤثر يغنى كمان يعلن فيها نهاية حفل التضامن ، وان الاننى عشر اصبحوا واحدا ، وعودتهم الى حضن الكائن الأعظم .

وبينما كانت الطبول تدق بعنف ، أذيعت أغنية « أورجي بورجي » .

« أورجي – بورجي – فورد والمرح ..

الأولاد مع الفتيات في سلام ..

أورجي - بورجي حبنا الرحة .

وبدأ الراقصون يغنون الأغنية المقدسة « أورجي – بورجي » فورد والمرح .. وبينما كانوا يغنون بدأت الأضواء تتلاشى ببطء .. وفي نفس الوقت تغدو أكثر دفئا ، وثراء ، واحمرارا ، حتى وصل الأمر إلى أن يرقصوا وكأنهم داخل مخزن للأجنة بإضاءته الحمراء بلون الدم . وظل الراقصون لفترة يدورون ويدقون الأرض بأقدامهم في عدم تطابق للأغنية . « أورجي – بورجي ... » ثم وهنت الدائرة ، وتفسخت ، وارتموا على المقاعد التي تحيط المائدة ، والاثنى عشر كرسيا التي خارج إطار الدائرة وغنى الصوت العميق برقة ونعومة أغنية « أورجي – بورجي .. » .

كانوا يقفون على السطح . وقد أعلنت « بيج هنرى » السابعة . كان الليل هادئا ودافئا .

قالت « فيفى برانللو » : « الم يكن رائعا ؟ الم يكن فى منتهى الروعة » ؟

ثم نظرت الى برنارد بعينين لامعتين ، كلها سعادة ، وفى منتهى الرضا ، والاطمئنان مع العالم بأكمله .

ـ « نعم ، اعتقد انه كان رائعا » ، قال برنارد ذلك كذبا ، وتطلع بعيدا . فقد كان لمنظر وجه « فيفى » الذى يفيض سعادة اثر كبير فى الشعور بعزلته بشكل شديد . كان فى منتهى البؤس فى تلك اللحظة ، مثلما كان حاله عندما بدأ الاحتفال ـ بل اكثر احساسا بالعزلة بسبب عدم ارضاء رغبته اراء شىء لايستطيع حتى ان يصفه لنفسه . وحيد وتعس ، بينما الآخرون متوحدون مع الكائن الأعظم ، وحيد حتى لو كان بين ذراعى « مورجانا » .. بل اكثر وحدة .. واكثر يأسا

من أى وقت مر به فى حياته . لقد خرج من ذلك الوهج الأحمر الدموى ، الى الجو العام ، حيث ضوء المصابيح الباردة ، بشعور باليأس . كان تعسا تماما وربما (كانت عيناها اللامعتان تتهمانه) وردد قائلا : « فى منتهى الروعة » .. وكان الشىء الوحيد الذى يفكر فيه ، هو « حاجبى مورجانا » .

الفصـل السادس

غريب . غريب . غريب . . كان هـذا راى لينينا في برنارد ماركس . حقيقـه انه شـخص في منتهى الغرابة . لدرجة انها خلال الأسابيع التالية . تحيرت اكثر من مرة عما اذا كانت تغير رأيها بخصوص قضاء اجازتها في « نيو مكسيكو » وتذهب بدلا من ذلك الى « القطب الشمالي » مع شخص آخر . لقد كانت هناك في الصيف الماضي ، بالاضافة الى انها لم تكن مرتاحة بشكل كاف . فلاشيء تعمله هناك ، كما أن الفندق من الطراز القديم المتعب ، فلا يوجد اى جهاز تليفزيون في حجرة من حجراته . كلا ، لايمكن أن تذهب الى القطب الشمالي مرة ثانيـة . لقد زارت امريكا مرة واحدة من قبل ، وكانت الى نيويورك في رحـلة نهاية الأسبوع مع رجل نسيت اسمه . اما فكرة الطيران الى الغرب ولمدة اسبوع كامل ، فقد كانت مغرية جدا .

خاصة ، أنهما سيقضيان ثلاثة أيام من هـذا الأسبوع فى زيارة معسكر حجز الهمجيين ، الذى لم يزره سوى نصف دستة من الناس من كل العاملين فى المركز . وباعتبار برنارد من فصيلة « الألفا + سيكولوجست » ، فقد كان من القلائل كما نعرف ، الذين يسمح لهم رسميا بالذهاب الى هنـاك . كان ذلك بالنسبة للينينا فرصة حياتهـا ، لكن الذى جعلهـا تتردد فى القيام ، هو أن برنارد شخص غريب جدا .

وقد ناقشت هذا الموضـوع باهتمام ذات ليلة مع هنرى . فقال هنرى : « أوه ، برنارد المسكين لا ضرر منه . فبعض الناس ربما لم يتعلموا أبدا ما هو السلوك الصحيح . وبرنارد واحد منهم . ومن حسن حظـه ، انه متميز فى وظيفتـه ، والا لمـا كان المدير احتفظ به . لكنه غير مضر ، ويمكنك التأكد من ذلك.

لا ضرر منه ، ربما ، لكنه مزعج جدا . فهو على سبيل المثال يود ان يفعل الأشياء فى خصوصية ، وهذه نزعه غير صحية . وهـذا يعنى ، من الناحية العملية

الا تفعل شيئا على الاطلاق . وما الذى يستدعى ان يقوم الانسان بفعل الأشياء فى خصوصيه ؟ (بغض النظر عن الذهاب الى الفراش ، لكن الانسان لايستطيع ان يفعل ذلك بصفة مستمرة) نعم ، ماذا هناك يستدعى ذلك ؟ فى اول لقاء لهما بعد الظهر سارت الأمور على ما يرام . واقترحت ليسنا ان تستحم فى بلاج مزدحم . بعدها يتناولان العشاء فى المطعم الجديد الذى يؤمه الجميع . لكن برنارد لم يوافق بحجة ان المكان مزدحم . اذن ما رايك فى جولة فى جولف الحواجز ؟ وكان رد برنارد انه مضيعة للوقت .

وسالت ليتينا بنوع من الدهشة : « اذن لماذا خلق الوقت » .

ـ « من الواضح انه خلق للتمشى فى الريف ، وحدى معك ، يا ليتينا » .

ـ « لكننا يا برنارد ، سنكون وحدنا طوال الليل » . .

احمر وجه برنارد واشـــاح بوجهه ، ثم قـــال :
« اعنى وحدنا ، لكى نتحدث » .

ـ « نتحـــدث ؟ نتحـــدث فى مـــاذا ؟ » نتمشى ونتحدث .. هذا اسلوب غريب جداً لقضـــاء فترة ما بعد الظهر .

فى النهاية اقنعته على غير رغبة منه ، بالطيران الى امستردام لمشـــاهدة مباراة كره القدم النسائية النهائية على الكاس .

وقال متبرما : « فى الزحام ، كالعادة » . وظل طوال فترة ما بعد الظهر صامتا ، لا يرغب فى التحدث مع اصدقاء لينينا (الذين قابلت العشرات منهم فى بار آيس كريم ســـوما خلال فترة استراحة المبـــاراة) ، وبالرغم من حالة الابتئاس التى كان عليها فقد رفض باصرار آيس كريم الشيكولاتة باســـوما الذى اشترته له ، **وقـــال** : « اود ان اكـــون نفسى . مبتئس لكن نفسى .. وليس شخصا آخر مبتهج بأى حـــال من الأحـــوال » .

فى طريق عودتهما فوق القنال ، أصر برنارد على ايقاف محركات الدفع الأمامية للهليوكوبتر وترك الطائرة تحوم على بعد مائة قدم فوق الامواج . وتحول الجو الى أسوأ . فقد اندفعت ريح غربية جنوبية ، وتلبدت السماء بالغيوم . **وقال فجأة :**

ـ « انظرى » .

ـ « لكن ذلك مظيع » ، قالت لينينا ذلك وأدارت وجهها بعيدا عن النافذة . كانت مرتعبة من اندفاع الليل البهيم ، والأمواج المتلاطمة بلا نهاية تحتهم ، ووجه القمر الشاحب بين السحب المتسابقة .

ـ « دعنا نستمع الى الراديو ، بسرعه » ومدت يدها الى المفتاح وأدارته . وانطلق ستة عشر صوتا فى منتهى الحلاوة « ... زرقاء هى السماء بداخلك ، دائما ما يكون الجو » ...

ثم سمعت صوت تكه وعم السكون . لقد اغلق برنارد الراديو .

وقال : « اود ان انطلع الى البحر فى هدوء . لايمكن ان اتامله مع كل تلك الضوضاء المنبعثة من الراديو » .

ـ « لكنها اغنية جميلة . وانا لا اريد التطلع الى البحر .

فاجاب : « لكننى اريد » ان ذلك يجعلنى اشعر كما لو اننى ... » وتردد بحثا عن الكلمات التى يعبر بها عن نفسه : « كما لو اننى اكون نفسى اكثر ، اذا كنت ادركت ما اقصد . اكون نفسى انا ، وليس جزءا من شىء آخر . الا يجعلك ذلك تشعرين على هذا النحو ، يا ليتينا » ؟

لكن ليتينا كانت تبكى : « شىء فظيع ، فظيع » وظلت تردد ذلك . « ورغم ذلك ، فنحن جزء من شىء آخر . كل انسان يعمل من اجل الآخرين . لا نستطيع ان نحيا دون الآخرين . حتى الاسيلون ... » .

فاجاب برنارد بمرارة : « اجل ، اعرف ، حتى

الابسيلون لهم فائدة ! وكذلك انا . فلتحل بى اللعنة لو كنت ارغب فى غير ذلك ! » .

صدمت لينينا بهذه الكلمات . **وقالت وعيناها مليئتان بالدموع** : : « برنارد ! كيف يتسنى لك أن تفكر فى مثل هذه الأشياء » ؟

ـ « كيف يتسنى لى ؟ » .. رددها وهو غارق فى التفكير .. « كلا . المشكلة الحقيقية تكمن فى : كيف لا افكر ـ او بالأحرى ـ لاننى اعلم تماما لماذا لا استطيع ـ وماذا يكون عليه الوضع لو استطعت ، لو اننى كنت حرا ـ ولست عبدا لظروفى » ؟

ـ « لكنك ، يا برنارد ، تقول اشياء مخيفة جدا » ؟

ـ « الا تودين أن تكونى حرة ، يا لينينا » ؟

ـ « انا لا اعرف ما ترمى اليه . أنا حرة . حرة فى استعلال وقتى كيفما أشاء . كل الناس سعداء هذه الأيام » .

فضحك وقال : « اجل ، كل الناس سعداء هذه الأيام ، فنحن نبدأ فى اعطاء ذلك للأطفال فى سن الخامسة . لكن الا ترغبين فى ممارسة حريتك بطريقة اخرى ، يا لينينا ؟ . بطريقتك الخاصة ، على سبيل المثال ، وليس بطريقة كل انسان آخر » .

فاجابت : « انا لا اعرف ما ترمى اليه » .

ثم التفتت اليه وقالت له برجاء : « اوه ، دعنا نعد ، يا برنارد . فأنا اكره المكان هنا » .

ـ « الا تحبين ان تكونى معى ؟ » .

ـ « أجل ، بالطبع ، يا برنارد ! لكن هذا المكان مريع » .

ـ « كنت اظن اننا قد نكون اكثر .. اكثر اقترابا من بعضنا هنا .. حيث لاشىء سوى البحر والقمر . اكثر قربا من ان نكون فى مكان مزدحم ، او حتى فى حجرتى ، الا تدركين ذلك » .

فقالت بحزم : « انا لا ادرك اى شىء ، لماذا

لا تتناول حبوب السوما على اقل تقدير ، عندما تنتابك مثل هذه الأفكار المخيفة . فتنسى كل شيء بخصوص ذلك . وبدلا من الاحساس بالبؤس ، سينتابك الاحساس بالبهجة » .

تطلع اليها فى صمت . **وقال فى صوت واهن مجهد** : « لا بأس اذن ، سوف نعود » ودفع الطائرة بحدة الى أعلى السماء ، ثم جذب ذراع التسيير الى الأمام . وطارا فى صمت لدقيقة او دقيقتين . ثم فجأة بدا برنارد يضحك . واعتبرت لنينا ذلك شيئا فى منتهى الغرابة ، برغم أنه لم يكن سوى ضحك .

سألته فى رقة : « اتشعر بتحسن » ؟

وردا على سؤالها رفع احدى ذراعيه من فوق عصا القيادة ولفها حول وسطها .

فقالت لنفسها : « شكرا ، لفورد ، لقد عاد لحالته الطبيعية مرة اخرى » .

بعد مضى نصف ساعة كانا فى حجرته . وابتلع برنارد اربعة اقراص من اسوما . وفتح الراديو والتليفزيون .

سألته لينينا بابتسامة عندما تقابلا بعد ظهر اليوم التالى فوق السطح : « هاى » ما رأيك فى الأمس ، الم يكن طريفا ؟ » . هز برنارد رأسه . وصعدا الى الطائرة ، وانطلقا .

وسألته قائلة :

ـ « اترى اننى متميزة ؟ » .

هز رأسه وقال : « فى كل شيء ؟ » .

ثم قال بصوت مرتفع : « متميزة جدا » .. وقال لنفسه : « انها تفكر فى نفسها فقط » .

ابتسمت لينينا برضا . لكن سرعان ما بدا على وجهها نوع من خيبة الأمل .

ـ ثم واصل كلامه بعد فترة صمت وقال : « على اية حال كنت اتمنى ان ننتهى لقاء أمس نهاية مختلفة » .

وبدأ يتكلم كثيرا عن الهراء الخطير الذى لم تستطع أن تفهمه . وقال : « أنا اريد أن ادرك معنى العاطفة ، اريد ان اشعر بشيء اقوى . نحن جميعا نتمتع بذكاء كبير فيما يختص بعملنا ، لكننا اطفال من حيث المشاعر والرغبات ، وهذا مهم » .

ـ « لكن فورد يحب الأطفال » .

وواصل برنارد كما لو انها لم تنطق . « لقد انتابنى فجأة بالأمس احساس بانه من الممكن أن اتصرف كانسان راشد طول الوقت » .

ـ « أنا لا أفهم » .. قالت لينينا ذلك بنبرة حاسمة .

ـ « أعرف أنك لا تفهمين . وهذا هو السبب الذى جعلنا نقضى الوقت سويا يوم امس ـ كالأطفال ـ بدلا من ان نكون ناضجين وننتظر » .

ـ « لكن الأمر كان رائعا ، أليس كذلك » ؟ قالت لينينا باصرار .

ـ « أوه ، فى منتهى الروعة » . اجاب عليهـا بصوت حزين جدا ، ونبرة ملؤها الأسى الشديد . لدرجة ان احـسـس لينـيـا بالزهو يتلاشى فجـأة . فربما اكتشف أنها سمينة جدا بعد كل ما حدث .

❊ ❊ ❊

كان كل ما قالته فاني عندما حكت لها لينـا كل ذلك : « لقد قلت لك من قبل ، ان احد العمال قـد ارتكب خطأ عندما كان برنارد جنينا فى الزجاجه » .

قالت لينينا باصرار : « على أية حال ، فأنـا معجبة به حقا ، فيداه رائعتان للغاية . والطريقة التى يحرك بها كتفيه جذابة جدا ، وتنهدت . « لكن كم كنت اتمنى الا تكون غريبـا الى هذا الحد » .

❊ ❊ ❊

توقف برنارد أمام باب حجرة المدير لحظـة . وسحب نفسا عميقا وتهيـأ لمواجهة الرفض وعـدم الترحيب الذى سيجده بالتأكيد فى الداخل .

ـ « ارجو ان توقع يا سيادة المدير » قـال ذلك

بمنتهى الهـدوء على قدر ما يسـتطيع وهو يضـع الطلب على المكتب .

وتطلع اليه المـدير شزرا . لكن لمـا كان ختم مكتب الحاكم العام موجودا بأعلى الطلب وكذلك امضاء الحاكم العام ، « مصطفى موند » واضحا بلون اسـود فى أسفل الطلب ، لم يجد المدير بدا من الموافقـة . خاصه وان كل شيء مضبوط .

وكتب تعليقه تحت التوقيع بالقلم ، ولفته نظره، وهو على وشـك اعادة الطلب دون تعليق ، شيء ، مكتوب فى الطلب .

ففال وهو ينظر الى برنارد بنوع من الدهشـة :
« بتصريح لزيارة معسكر عزل نيو مكسيكو » ؟

فهز برنارد رأسه متدهشا لدهشته ، وحدث صمت .

اضطجع المدير الى الوراء فى كرسيه ، وهو غارق فى الأفكار . « منذ متى كان ذلك ؟ » قال ذلك لنفسه

أكثر منه الى برنارد .. منذ عشرين عاما على ما اعتقد . بل منذ خمسة وعشرين عاما تقريبا . كنت في سنك تقريبا .. » تنهد وهز رأسه .

احس برنارد بعدم راحة متناهية . وتساءل عما يمكن ان يقوله المدير بعد ذلك .

ـ « كانت لدى نفس الفكرة مثلك » واصل المدير كلامه . « كنت ارغب في القاء نظرة على الهمجيين . حصلت على تصريح لنيو مكسيكو ، وذهبت الى هناك خلال اجازتي الصيفية مع فتاة كانت برفقتي في تلك الآونة ، كانت من فصيلة « بيتا سالب » على ما اظن » (واغلق عينيه) كان شعرها اصفر .. اذكر ذلك . حسن ، ذهبنا الى هناك ، والقينا نظرة على الهمجيين ، وركبنا الخيول وما الى ذلك بعد ذلك ، وكان آخر يوم في اجازتي تقريبا .. حدث ان تاهت مني . فلقد ذهبنا لنتسلق واحدا من تلك الجبال الفظيعة ، وكان الجو حارا جدا ، ولا توجد نسمة هواء ؛ وبعد الغداء ذهبنا للنوم . او بالأحرى نمت أنا . ويبدو أنها خرجت للتمشي ، وحدها .

ذلك انني عندما استيقظت لم تكن موجودة . وهبت عاصفة رعدية مخيفة لم ار مثيلا لها فى حياتى . وهطلت الأمطار سيولا وابرقت السماء وارعدت . وفزعت الخيول وفرت هاربة . وسقطت وانا احاول الامساك بها ، وجرحت ركبتى ، وكنت امشى بصعوبة. وظللت ابحث عنها وانادى وابحث . لكن لم يوجد لها اى اثر . فاعتقدت انها ربما تكون قد عادت الى الاستراحة وحدها . وهكذا زحفت عبر الوادى فى نفس الطريق الذى جئنا منه . كانت ركبتى تؤلمنى جدا ، كما اننى فقدت حبوب السوما ، واستغرق منى ذلك عدة ساعات ، ولم اصل الى الاستراحة الا بعد منتصف الليل . ولم تكن موجودة ، لم تكن موجودة » كرر المدير ذلك . ثم حدث صمت .. ثم واصل كلامه اخيرا **وقال** : « فى اليوم التالى جرت عملية بحث . لكننا لم نعثر عليها .. لابد انها سقطت فى شق صخرى : فى مكان ما ، او افترسها اسد جبلى . فورد هو الذى يعلم . كان الوضع فظيعا باى حال من الأحوال . وكدرنى كثيرا جدا فى ذلك الوقت . اكثر من اى شىء آخر حدث » .

ـ « كان لابد أن تصاب بصـدمة شديدة » ، قال برنارد ذلك بنوع من الحسد .

وعندما سمع المدير ذلك نظر بحـدة الى برنارد وناوله التصريح . فغضب من نفسه لأنه حكى له تلك الحادثة القديمة فى حياته ، وصب جام غضبه على برنارد . فكانت نظرته فى تلك اللحظـة تنم عن غضب شديد **وواصل كلامه قائلا** : « احب ان انتهز هـذه الفرصة يا سيد ماركس ، لأحيطك علما بأننى لسـت راضيا تماما عن تقارير سـلوكك خارج العمل ؛ قد تقول ان هذا ليس من شأنى ، لكنه كذلك . اذ ينبغى على ان احافظ على السمعة الطيبة للمركز ، كمـا تعلم . فلابد ان يكون موظفى فوق مستوى الشبهات ، خاصة ذو المستويات العليا . ولذا يا سيد ماركس فانا اود ان الفت نظرك . واذا حدث ووصلتنى أى شكوى مرة ثانيـة عن أى انحراف او كسر لقواعد السلوك الاجتماعى ، فسوف اطلب نقلك الى مركز اقليمى ، ربمـا فى ايسلندا . « مع السـلامة » واشـاح عنه بوجهه ، والتقط قلمه وبدأ يكتب .

ـ « سيكون ذلك درسا له » ، قال المدير لنفسه. لكنه كان مخطئا . لأن برنارد قد ترك الحجرة وكله احساس بالابتهاج لأنه يقف وحده ضد كل التعليمات الاجتماعية ، وباحساس باهمية تفرده ، ولم يكن خائفا على الاطلاق من تهديدات المدير . وشعر بانه قوى بما فيه الكفاية لمواجهة اى معاملة خشنة ، او حتى الذهاب الى ايسلندا .

وكان على يقين بأنه بأى حال من الأحوال لن يكون مضطرا لمواجهة اى شيء على الاطلاق . فالناس لم تتأثر بأشياء مثل هذه فايسلندا لم تكن أكثر من تهديد . وأثناء سيره فى الردهة كان يصفر .

* * *

كانت الرحلة هادئة تماما . ووصل صاروخ الباسفيك الأزرق قبل ميعاده بدقيقتين ونصف الى نيو اورليانز ، وكان قد تعرض لعاصفة فوق تكساس ضيعت دقيقتين ، لكنه انطلق بعد ذلك فى جو صاف ، واستطاع ان يهبط فى « سانتا فى » بأقل من اربعين ثانية بعد الوقت المحدد .

وقالت لبنينا : « ست ساعات ونصف وأربعون ثانية ، طيران . لا بأس » .

وقضينا تلك الليلة في « سانتا في » . ووجدت لبنينا كل ما ترغبه من وسائل الراحة .

وحذرها برنارد قائلا : « لن يكون هناك أشياء مثل هذه في المعسكر ، لا تليفزيون ، ولا حتى ماء ساخن . لا ينبغي أن يذهب الى هناك الا من يرغب حقيقة في ذلك » .

ــ « لكنني أود الذهاب فعلا » .

ــ « اذن ، اتفقنا » .

كان التصريح يتطلب توقيع المشرف على منطقة العزل ، الأمر الذى يتطلب ذهابهما الى مكتبه صباح اليوم التالي . كان مليئا بمعلومات لا فائدة منها ، وارشادات بديهية لا تحتاج لسؤال . وما أن بدأ المشرف الكلام حتى واصل بنفس الصوت العالي الممل :

« ... خمسة آلاف ، وخمسمائة كيلو متر مربع ، مقسمة الى أربع مناطق ، بمثابة معسكرات صغيرة ، كل معسكر محاط بسور مكهرب . ليس هناك مجال للهرب ، فالذين يولدون فى المعسكر ـ وتذكرى يا سيدتى ، ان اطفال هذه المعسكرات « يولدون » ، نعم ، حقيقة يولدون ، وربما يبدو ذلك مقززا ـ هؤلاء يقضون حياتهم كلها هناك ويموتون هناك . يوجد حوالى ستة آلاف هندى ، ومهجنون .. وهمجيون تماما .. ، ومفتشونا يزورون المنطقة من حين لآخر .. والا ، فلن يكون هناك اى تواصل مع العالم المتمدين .. ما زالوا يحتفظون بعاداتهم وتقاليدهم المخجلة .. الزواج ، اذا كنت تعرفين معنى الزواج ، يا سيدتى ، العائلات .. لا يوجد اى نوع من انواع التكيف .. خرافات فظيعة .. ومعتقدات مثل ذلك .. لعات ميتة مثل الاسبانية .. حيوانات مفترسة متوحشة .. امراض معدية .. افاع سامة » .

واخيرا خرجنا . ووصلتهما رسالة على الصدق

بناء على تعليمات المشرف ، تفيد بأن احد حراس المعسكر قد جاء بطائرته وفى انتظارهما على السطح .

احتلا مقعديهما فى الطائرة وانطلقت ، بعد مضى عشر دقائق كانا يعبران الحدود الفاصلة بين الجزء المتمدين والجزء الهمجى . كان السور المحيط بالمنطقه يمر على قمم تلال وسفوحها وعبر صحراوات مالحة ورملية وخلال غابات ، وأودية عميقة ، وسهول متسعة وقمم جبال عالية . وعند اسفل السور ، كانت هناك هياكل من العظام البيضاء ، ملقاة على الأرض حيث اقترب جدا حيوان مفترس من الأسوار المميتة .

ـ « لن يتعلموا ابدا » . قال الطيار ذلك وهو يشير الى الهيكل العظمى تحتهم « ولن يتعلموا ابدا » أعادها ثانية ، وضحك كما لو كانت نكتة .

كان برنارد قد تناول جرامين من السوما ، واستغرق فى النوم ، واستيقظ اخيرا ليجد الطائرة رابضة على الأرض ، ولينينا تحمل حقائبها الى منزل

صغير مربع ، والطيار يتحدث بلغة ما مع هندى ، ولم يستطع أن يفهم اى شيء .

وقال الطيار : « وهذه هى الاستراحة . سيقام بعد ظهر اليوم حفل راقص فى القريه . وهو سيصحبكم (وأشار الى شاب همجى ، بدا عنيدا) ستكون حفلة طريفة ، اتوقع ذلك . كل شيء يفعلونه طريف جدا » . بهذه الكلمات صعد الى طائرته وبدأ ادارة المحرك ، **وقال** : « الى اللقاء غدا . وتذكرى انهم هنا فى منتهى الوداعة . لن يسبب لك الهمجيون اى ضرر ، فهم على دراية تامة بما تفعله قنابل الغاز . اذا ما حاولوا القيام بأى نوع من الغدر » . وأدار عصا القيادة وانطلق فى الجو واختفى .

تم التحميل من مكتبتي

الفصــل الســابع

منطقة صخرية مرتفعة مسطحة تطل على سهل ترابى اصفر ، تقع وسط واد تحوطه حقول خضراء ، يتخللها نهر يجرى بين شــاطئين عاليين منحدرين . فوق قمة هذه المنطقة الصخرية توجد قرية « مالبيز » الهندية ، وبدت البيوت الطويلة على مدرجات الصخور بطوابقها التي يقل حجمها كلما ارتفعت بدت وكأنهــا تشق السماء الزرقاء . واسفل هذه البنايات المرتفعة تقبع مجموعة من البيوت المنخفضة تنتشر بلا نظــام . يحد كل منها اسوار تتقاطع مع بعضها ، فوق الجوانب الثلاثة للسفح ، وتصــل الى اسفل حتى الســهل ، وتصاعدت بعض اعمدة من الدخان فى الهواء الساكن ، ثم تلاشــت .

قالت لينا : « شىء غريب ، غريب جدا » . .
فقد كانت تطلق كلمة غريب على اى شىء لا يعجبها . .

تم التحميل من مكتبتي

« انا لا احبه ، انا لا احب ذلك الرجل ! » . . واشارت الى المرشـــد الهندى الذى عين ليأخذها الى القرية . وكان من الواضح انه لا يحبهما ايضـــا ، حتى ان كل جزء من ظهره اثناء سيره كان يعبر عن كراهيته لهما .

وخفضت صوتها وقالت : « هذا بالاضافة ، الى رائحتـــه » .

لم يحـــاول برنارد ان ينـــكر ذلك ، وواصـــلا سيرهما .

وفجاة بدا كمـــا لو ان الهواء كله يدق ، يدق بحركة دموية لا تكل . لقد كانت الطبول تدق هنـــاك فى « مالبيز » . وبدات اقدامهمـــا تتوافـــق مع تلك الايقاعات الغامضة .

وبداوا يسيرون بخطى اسرع . وقادهم الطريق الى اسفل الصخرة . كانت جوانبها ترتفع فوقهم مثل برج ضخم بارتفاع قدره ثلاثة آلاف قدم .

وقالت لبنينا : « كنت اتمنى لو احضرنا الطائرة معنا » . وتطلعت بكراهية الى واجهة الصخرة الصماء الحائمة فوقهما . **واستطردت** : « انا اكره المشى . الانسان يشعر بصآلته الشديدة عندما يسير على الأرض فى اسفل التل » .

سارا فى ظل الصخرة لمسافة ما ، ثم دارا حول ناحية ، ومرا بمجرى نهر جاف اهلكته المياه فى سالف الأزمان حتى وصلا الى بداية طريق صاعد . فصعدا معه .. كان ممرا شديد الانحدار ملتويا .. وفى بعض الأحيان كان ينقطع هدير الطبول ، وفى احيان اخرى ، يبدو وكأنه فى الناصية القريبة .

وبينما كانا فى منتصف الطريق ، اذا بنسر يطير فوقهما وكان قريبا جدا لدرجة انهما شعرا بريح باردة تكتسح وجهيهما من أثر جناحيه . وفى أحد الشروح الصخرية كانت توجد كومه من العظام ، كان شيئا مرعبا بدرجة كبيرة ؛ بالاضافة الى رائحة الهدى المعاذة التى غدت أكثر واكثر قوة ، وأخيرا خرجا من

هذا الممر حيث ضوء الشمس . حيث قمة صخرية مسطحة .

قالت لينينا وهي تذكر نفسها بشيء مألوف لها :
« مثل برج تشارنج تى » .. لكن لم تكد تركن الى تلك المقارنة المريحة حتى سمعا صوت أقدام خفيفة جعلتهما يلتفتان حولهما ، فاذا بهنديين يجريان عبر الممر ، وعاريين من عند الرقبة الى وسطيهما . وكان جسداهما البنيان مخططين بخطوط بيضاء (مثل ملعب التنس ، كما شرحت لينينا مؤخرا) ويعلو وجهيهما مسحة متوحشة مدهونة باللون الأحمر والأسود والأصفر ، وكأنهما لا ينتميان للجنس البشرى .

وكان شعرهما الأسود مضفرا بشرائط حمراء وشيء من فراء الثعلب . ويتهدل على كتفيهما مئزران من ريش الطيور ، وفوق جبهتيهما زينة لامعة ملونة . ومع كل خطوة يخطوانها كانت تسمع صلصلة الأساور الفضية التى ترين سواعدهما ، وكذلك عقدان ثقيلان يتدليان من رقبتيهما ويتكونان من العظام والأحجار

الملونة .. وصـــلا بهـدوء وهمـا يجريان تحقيهمـا المصنوعين من جلد الوعل . وكان أحدهما يمســك بفرشاة من الريش ، فى حين كان الآخر يمســك فى كلتا يديه ما بدا من على بعد وكأنه ثلاثه او اربعـة قطع من الحبال العليظة . تحرك أحد الحبال وتلوى وفجأة اتضح للسنينا انها ثعابين .

اقترب الرجلان اكثر واكثر . وتطلعت أعينهما اليها دونما ادنى علامة على انهما رايها او شـعرا بوجودها . ومر بهما الرجـلان والثعبان الملوى مازال معلقا على رسغه مع بقيه الثعابين .

قالت لينينـا : « انا لا احب ذلك ، لا أحـب ذلك » .

لكنها تقبلت بدرجة اقل ما لقيته عند مدخـل القرية ، عندما تركهم مرشـدهم وذهب الى الداخـل ليتلقى التعليمات .

القذارة فى البداية ، واكوام القمامة ، والتراب ،

والكلاب ، والذباب . وتجعد وجهها من القرف . ووضعت منديلها على أنفها .

وصرخت قائلة ، وهى لا تكاد تصدق عينيها : « كيف يتسنى لهم أن يعيشوا على هذا النحو » ؟

فقال برنارد : « لقد عاشوا على هذا النحو منذ خمسة أو ستة آلاف سنة ؛ ولذلك فأنا أعتقد أنهم لابد أن يكونوا قد تعودوا على ذلك » .

فقالت باصرار : « ان عدم النظافة تالية لانكار الفوردية »

فقال برنارد مبتسما : « نعم ، والمدنية هى التطهير ، لكن هؤلاء الناس لم يسمعوا أبدا عن فورد ، ولذا فهم غير متمدينين . لذلك فليس هناك أهمية لأن ... »

وقبضت على ذراعه وقالت : « أوه انظر ! » .

كان هناك رجل هندي عار تقريبا ينزل ببطء على سلم خشبى من شرفة الدور الأول لأحد المنازل

بضطراب وخوف بسبب تقدمه فى السن . كان وجهه أسود مجعدا بعمق . وفمه كان خاليا من الأسنان . وفى كل ركن من شفتيه وعلى كل من جنبى دقنه تتدلى شعيرات قليلة بيضاء على بشرته السوداء . أما شعره المشوش فكان يتدلى حول وجهه . كان جسده محنيا ولا شيء فيه سوى جلد على عظم . كان يهبط ببطء شديد ، ويتوقف عند كل نقلة قدم ، قبل ان يضعها على الدرجة الأسفل .

همست ليتينا : « ما بال ذلك الرجل ؟ » واتسعت عيناها رعبا ودهشة .

فاجاب برنارد دون اهتمام بقدر ما يستطيع : « انه رجل عجوز ، هذا كل ما فى الأمر » . رغم انه فى الحقيقة كان منزعجا جدا ، لكنه بدل مجهودا ليبدو متماسكا .

فرددت فائلة : « عجوز ؟ لكن المدير عجوز . كثير من الناس عواجيز ، لكنهم ليسوا على هذا النحو » .

ـ « ذلك لأننا لا نسمح لهم بأن يصبحوا كذلك . فنحن نقيهم من المرض . نحافظ على أجسادهم فى حالة جيدة بالأساليب العلمية . فنحن نمدهم بدماء شابة على فترات منتظمة . ونعمل على أن يسير الهضم عندهم بشكل جيد وتام . لذلك ، وبطبيعة الحال لا يبدون على هذا النحو » . **ثم أضاف قائلا :** « مع الأخذ فى الاعتبار ، ان معظمهم يموتون قبل ان يصلوا الى سن هذا الكائن العجوز . ان قوة الشباب تظل بكامل قواها حتى سن الستين ، ثم يحدث انهيار .. بعدها النهاية » .

لكن لينينا لم تكن تصغى اليه . كانت تراقب الرجل العجوز ، الذى وصل ببطء شديد الى أسفل . وعندما لمست قدماه الأرض . التفت . كانت عيناه الغائرتان لا تزالان تلمعان بشكل غير عادى ، وتتطلعان اليها لحظة طويلة دون أى تعبير ، ودون دهشة ، كما لو انها غير موجودة على الاطلاق . ثم تحرك الرجل بظهره المحنى ، وسار متألما ومر بهما . واختفى .

همست ليثينا قائلة : « لكن ذلك شيء متعب ، شيء فظيع . لم يكن ينبغي أن نحضر الى هنا » . وبحثت في جيبها عن أقراص « السوما » ، لتكتشف أنها نسيت الزجاجة بأكملها في الاستراحة . وكذلك كان جيب برنارد خاويا .

وتحتم على لينينا أن تواجه رعب قريه « مالبير » دون أي عون وتحمهر الكل حولها . وجعلها منظر امراتين ترضعان طفليهما ، تحمر خجلا فأدارت وجهها بعيدا . اذ انها لم تر شيئا سبب لها مثل هذه الصدمة طوال حياتها . ومما زاد الأمور سوءا أن برنارد بدلا من التظاهر بعدم ملاحظة ذلك ، ظل يدى ملاحظاته حول ذلك المشهد الحيواني المقزز . وواصل حديثه على هذا النحو ليعرفها كيف كانت طبيعة الانسان وأصوله .

في هذه اللحظة عاد مرشدهما ، واشار اليهما ان يتبعاه ، وقادهما عبر شارع ضيق بين البيوت . حيث كلب ميت ملقى فوق كوم قمامة ، وامرأة ذات

رقبة منتفخة بشكل سيىء تحاول تظليف شعر بنت صغيرة . ووقف مرشدهم عند قدمى سلم حشبى ، ثم أشار الى أعلى والى الأمام . اطاعا اشارته ، وصعد السلم ، ثم دخلا من خلال مدخل باعلى ، الى حجرة ضيفه ، مظلمه الى حد ما ، تسمع منها رائحة دهن مطبوخ وملابس قذرة . وفى نهاية الحجرة كان هناك باب آخر ، تدخل منه أشعة الشمس ، وهدير الطبول العالى جدا .

عبرا ذلك الباب ووجدا نفسيهما فى شرفة متسعة ، تطل على ميدان الفرنة الذى تحده البيوت العالية من جميع الجهات ، وقد ازدحم بالهنود . يلفون ملاءات ناصعة ؛ ويرسون شعورهم السوداء بالريش ، وحليهم لامعة ، وبشرتهم السوداء تتألق بسبب الحرارة . وضعت لينينا منديلها على أنفها . وفى مكان متسع فى وسط الميدان ، كان يوجد منصتان مستديرتان من الطوب والطين . وكان من الواضح انهما سطحان لغرف ارضية ، لأن كل منصة كان يوجد بها غطاء متحرك ، به سلم قادم من أسفل ،

حيث الظلمة . وسمع صوت عزف لآلة فلوت قادم من أسفل . لكنه كان يسمع أحيانا خلال ايقاعات الطبول المنتظمة .

كانت لينيسا تحب الطبول . فأغلقت عينيها وأخذت تصغى لهديرها المكرر الرقيق ، لكنها فزعت فجأة لانفجار غنائى ، صدر من حناجر مائتى رجل يغنون معا بصوت عال أجش عنيف .. استمر الغناء لفترة قصيرة ، ثم حدث صمت ، وردت عليهم امرأة ، تغنى بصوت عال حاد ، ثم عاودت الطبول هديرها مرة ثانية ، ثم صوت هدير عميق للرجال مرة ثانية .

فجأة خرج من تلك الحجرات السفلية مجموعة من الكائنات المريبة المفزعة . بعضهم يرتدى أقنعة قبيحة ، والبعض الآخر طلى وجهه ، وبدوا وكأنهم لا يمتون للبشر بشيء . وتحلقوا فى رقصة غريبة فى الميدان . وأخذوا يدورون ويدورون وهم يغنون .. يدورون ويدورون — وفى كل مرة أسرع قليلا ،

بصاحبهم قرع طبول أسرع ، حتى غدا أشبه بحمى دموية فى الآذان ، وشرعت الجموع تغنى مع الراقصين، أعلى وأعلى ، وصرخت امرأة فى البداية تبعتها ثانى النسوة ، ثم واحدة أخرى وأخرى ، كما لو أنهن قد قتلن ، وفجأة غادر قائد مجموعة الرقص الدائرة ، واندفع ناحية صندوق خشبى ، موجود عند نهاية الميدان ، ورفع غطاءه والتقط زوجا من الثعابين السوداء .

ندت صرخة فظيعة من الجمع ، وهرع ناحيته كل الراقصين وأذرعهم ممدودة . فألقى بالثعابين لأولئك الذين وصلوا أولا ، ثم مد يديه فى الصندوق وأخرج المزيد من الثعابين . وبدأت الرقصة مرة ثانية ، لكن بإيقاع مختلف ، وأخذوا يدورون بثعابينهم ، ويتلوون ويلتفون بأجسادهم كما لو كانوا ثعابين .. يدورون ويدورون . ثم أعطى القائد اشارة ، فأخذ كل فرد بعد الآخر ، يلقى بالثعابين وسط الميدان .

وخرج رجل عجوز من الغرف التحية ونثر فوقهم دقيق القمح ، وخرجت من غرفة أخرى امرأة ،

أحدث ترش عليهم ماء من جرة ســوداء . ثم رفــع الرجل العجوز يده ، وفجـأة ، حدث صمت تام . توقف الطبول عن القرع ، وبدا كما لو ان الحيــاة وصلت الى نهايتها . وأشـــار العجوز الى المدخلين المؤديين الى العالم السفلى .

وارتفعت ببطء من أسفل صورة لنسر ، تدفعها أياد خفية ، من احد المدخلين ، ومن الآخر ظهرت صورة لرجل عريان مصلوب . وصفق الرجل العجوز بيديه . فقفز من وسط الجموع فتى في سن الثامنة عشرة ، عــار تقريبا ، فيما عدا قطعة من قماش قطنى أبيض تلتف حــول وســـطه ، ووقف امامــه ويداه متقاطعتان فوق صدره ، ورأســه محنية الى الامام . ورسم الرجل العجوز علامة الصليب فوقه وابتعد عنه .

وبدأ الفتى يمشي ببطء حــول كومة الثعــابين الملتوية . ومن بين جموع الراقصين تقدم نحوه رجل طويل يرتدي قنــاع اســـد جبلى وبيده ســوط . وواصل الفتى سيره ، كما لو انه لم يلحظ تقدم الآخر .

رفع الرجل المقنع سوطه ، وحدث فترة صمت طويله، وسمعت فرقعه السوط فى الهواء ، ثم صوت ضربه سوط ثقيلة على جسم الفتى .

ارتج جسم الفتى ، لكن لم يصدر منه أى صوت ، وواصل سيره بنفس البطء ، بخطوات ثابتة. توالت ضربات السوط ، وعند كل ضربه كانت تسمع صرخة مكتومة ، اولا ، وبعدها انة عميقه من الجموع . واصل الفتى سيره . ودار حول كومه الثعابين مرتين ، ثلاثة ، اربعة . والدماء تنزف منه . ودار للمرة الخامسة ، والسادسة . وفجأة غطت ليبنا وجهها بيديها وبدأت تبكي **وقالت بتوسل** : « أوه ، أوقفوا ذلك ، أوقفوا ذلك » .. لكن السوط كان يهوى ويهوى ، دون رحمة . واكمل الدورة السابعه ، بعدها سقط الفتى فجأة على وجهه . دون أدنى صوت .

انحنى الرجل العجوز فوقه ، ولمس ظهره بريشة بيضاء طويلة ، ورفعها بعد لحظة ، حمراء بلون الدم ، لكى تراها الجماهير ، ثم هزها ثلاث مرات فوق

الثعابين . سقطت منها قطرات قليلة ، وفجأة بدأت الطبول تقرع ثانية فى ايقاع سريع جارف . حدثت صيحة عظيمة . واندفع الراقصون الى الأمام يلتقطون الثعابين ، واسرعوا خارجين من الميدان . واخذ الجميع ، رجال ونساء واطفال يجرون خلفهم .

بعد دقيقة اصبح الميدان خاليا ، فيما عدا الفتى الذى بقى منطرحا على وجهه حيث سقط ، ساكنا تماما . وجاءت ثلاث نسوة من احد البيوت وحملن الفتى بصعوبة الى داخل البيت . وظل السر والرجل المصلوب كمراقبين لفترة قصيرة حتى اصبح الميدان خاليا . ثم اختفيا تحت الأرض بعيدا عن الأنظار فى العالم السفلى .

كانت ليثينا ما تزال تبكى وتردد : « شىء فظيع جدا ، منتهى الفظاعة ! خاصة تلك الدماء .. ثم ارتعشت بشدة **وقالت** : « اوه ، اتمنى لو كان معى أقراص سوما » !

سمعت أصوات أقدام فى الحجرة الداخليـه جلسـت لينينا دون حـراك ، ووجههـا مدفون بين يديهـا . وكل ما فعله برنارد هو أن التفت حوله

كانت ملابس الشاب الذى دخل الشرفة فى تلك اللحظة ، هندية ، لكن شعره كان بلون القش الأصفر ، وعيناه زرقاوان شاحبتان وبشرته بيضـاء ، رغم أن الشمس لوحتها **وقـال باللغة الانجليزية ولكن بلكنـة غريبـة :**

ـ « هاللو . صباح الخير » .

ثم **أكمل** : « انتم متمدينون أليس كذلك ؟ أنتم من المكان الآخر ، بعيدا عن المعسكر ؟ » .

فقال برنارد بدهشة : « من أنت ... ؟ » .

تنهد الشاب وهز راسـه وقال : « فتى سيىء الحظ » واشار الى الدماء الموجودة وسط الميدان . « هـل ترون ذلك المكان اللعين » ؟ سـألهم بصـوت مرتعش متأثر .

وصاحت لينينا من خلف يديها : « اوه ، كم اتمنى لو كان معى حبوب السوما » ؟

وواصل الشاب كلامه : « كان يتحتم على ان اكون هناك ، لماذا لم يدعونى لأن اكون الضحية ؟ فقد كان بامكانى ان الف عشر مرات ــ اثنتى عشرة مرة ، خمس عشرة . فى حين أن « بالوهوينا » لم يلف اكثر من سبع لفات . كان من الممكن ان يحصلوا على ضعف كمية الدم التى حصلوا عليها . تكفى لصبغ البحار الزاخرة » .

ورمى بذراعيه الى الأمام وتركهما تسقطان الى جنبيه فى يأس وقال : « لكنهم لم يسمحوا لى . انهم يكرهوننى بسبب لون بشرتى . وهى دائما على هذا النحو ، دائما . توقفت الدموع فى عينى الشاب . واحس بالخجل ، فأشاح بوجهه بعيدا .

ولدهشة لينينا فقد نسيت كل شىء بخصوص السوما . ورفعت يديها من على وجهها ونظرت لأول

مرة الى الغريب **وقالت** : « هل تقصد ان تقول ؛ انك كنت تريد ان تضرب بدلك السوط » ؟

هز الشاب الغريب راسه وقال : « من اجل القرية .. حتى ينزل المطر وينمو القمح . واسعد **الاله** بوكنج ، ولكى اظهر الى اى مدى استطيع تحمل **الألم** دون صراخ !

واصبح صوته اكثر حزما ، واستدار ناحيتها وهو يرفع راسه بفخر **وقال** : « ولكى اظهر انى رجل .. احل ! » . وسحب نفسا عميقا حادا . وظل صامتا يحملق . فلقد شاهد لأول مرة فى حياته وجه فتاة ووجنتين ليستا بلون الشيكولاتة أو جلد الكلب . فتاة شعرها ذهبى ، وجميله ، ينظر اليه برقه (وهذا شىء لم يتعود عليه) . فقد كانت ليتينا تبتسم له . فقد كان فتى جميل الطلعة ، من وجهة نظرها ؛ وجسمه جميل متناسق .

احمر وجه الشاب خجلا وتكس عينيه الى اسفل ، وامتلأ باحساس جديد غريب ، لدرجة انه

التفت جانبا وتظاهر بشكل جاد بأنه يتطلع الى شيء آخر على الجنب الآخر من الميدان .

اندفع برنارد بسيل من الأسئلة من مثل ، من ؟ وكيف ؟ ، ومتى ؟ . وثبت الشاب نظره على وجه برنارد (لأن رغبته لرؤية ابتسامة لينينا كانت من القوة لدرجة أنه كان لا يجرأ على النظر اليها) . وحاول الشاب أن يعطيهم فكرة عن نفسه . فهو وليندا ـ (ليندا كانت أمه ـ وابدت لينينا عدم ارتياح عند سماعها لذلك) غرباء عن معسكر العزل . فلقد حضرت ليندا من المكان الآخر ، منذ فترة طويلة ، قبل ان يولد مع رجل كان أباه . (وأنصت برنارد باهتمام) . خرجت تتمشى وحدها في تلك الجبال هناك في الشمال . فسقطت في منحدر واصيبت في رأسها :

(فقال برنارد بلهفة ، استمر ، استمر) وعثر عليها بعض الصيادين من ماليز وأحضروها الى القرية . لأن الرجل الذي كان أباه ، والذي لم يره ليندا ابدا مرة ثانية ، وكان اسمه توماكن (أجل توماس ، كان

اسمه الأول) قد طار عائدا الى المكان الآخر :
دونها ـ رجل سيىء ـ قاس ، رجل غير طبيعى .

ـ « وهكذا ولدت فى مالبيز ـ فى مالبيز » .
وانهى كلامه بهزة من راسه .

يا لقبح ذلك البيت الصغير على حدود القرية !
فقد كان يفصله عن القرية كم من التراب والقمامة ،
وكان هناك كلبان يكادان ان يموت جوعا يدسان
انفيهما بشراهة فى القمامة الموجودة امام البيت .
اما بالداخل ، عندما دخلا ، فقد قوبلا بالرائحة
الكريهة القوية لهواء عطن ، كما انه ملىء بطنين
الذباب .

نادى الشاب : « ليندا » !

وجاء صوت امراة محشرج من الغرفة الداخلية
« أنا قادمة » .

وانتظروا قدومها . على الأرض كان يوجد وعاء
به بقايا وجبة طعام ، أو ربما وجبات .

فتح الباب . ودخلت امرأة شقراء بدينة جدا وقفت تحملق فى المربيين ، وفمها مفتوح من الدهشـة. ولاحظت لينينا بشيء من الاشـمئزاز ان سنتين من اسنانها الأمامية مفقودتان . ولون الأسنان الباقية .. لم تواتها الشجاعة للنظر اليها .

كانت سمينة جدا . ووجهها مليء بالتجاعيد . وخداها متهدلان بلون قرمزى . وارنبة انفها حمراء ، وعيناها بها شعيرات حمراء . ورقبتها .. يا لرقبتها ! والملاءة التي تلف بها رأسها ـ ممزقة وقذرة . ويتبدى على الجلباب البني الذى ترتديه ثديان ضخمـان ، وبطن مكورة .

كانت اسوأ بكثير من الرجل العجوز ، اسـوأ بكثير ! وفجأة انفجر ذلك المخلوق بتيار متدفق من الحديث ، ثم اندفعت نحوها ويداها ممدودتـان اوه فورد ، فورد ! كان الأمر فظيعا ، فقد كان من الممكن أن تصاب لحظتها بالغثيان ، لأنها احتضنت لينينا بشدة الى جسـدها السمين وبدأت تقبلها .. أوه !

فورد ! ان تقبل بمثل هذه القبل المبتلة ، بالاضافة الى رائحتها الفظيعة ، مما يؤكد انها لم تستحم ابدا . كما انها كانت محتسية شرابا قويا جدا . تخلصت لينينا منها بسرعة .. بأسرع ما يمكن وابتعدت عنها .

وحملقت فيها بوجه ملتو ، فقد كانت المرأة تبكى وتقول : « اوه ، يا عزيزتى ، يا عزيزتى ، لو تعرفين الفرحة التى تعمرنى .. خاصة بعد كل تلك السنين ! ارى وجهـا متمدينا ! اجل ، وملابس متمدينة .. لاننى لم اكن اعتقد انه ستتاح لى الفرصـة ابدا لرؤية قطعه حقيقيه من الحرير الصناعى مرة ثانيـه . وهذا البنطلون القصير ! هل تعرفين يا عزيزتى ، اننى مازلت احتفظ بملابسى القديمـة ، التى جئت بها الى هنا ، حفظتها بعيدا فى صندوق . سوف اريها لك فيما بعد . رغم ان الملابس كلها قد تهرأت بالطبع . اعتقد ان جون قد اخبركم بما عانيته .. لم يكن فى حوزتى حرام واحد من السوما ، فيما عدا شراب « الميسكال » من حين لآخر ، الذى تعود « بوب » ان يحضره ، وبوب هذا رجل كنت على علاقة به . وشراب « الميسكال »

هذا كان يجعلك تشعرين بالتعاسة والضيق فيما بعد بالاضافة الى الشعور الفظيع بالخزى الشديد ؛ فى اليوم التالى لتناوله . ولطالما انتابنى الخزى . ولك أن تتصورى ـ فانا التى تنتمى لفصيلة ـ بيتا ـ يكون لدى طفل ، ضعى نفسك مكانى ! » .

(ومجرد الافراح جعل لينينا ترتجف) « رغم أن ذلك لم يكن غلطتى ، اقسم على ذلك . فانا مازلت لا اعرف كيف حدث ذلك . فقد قمت بكل الاحتياطات اللازمة . لكن رغم ذلك حدث ، وبالطبع لا يوجد هنا مركز للاجهاض . وبالمناسبة ، هل مدرال موجودا فى شلسى ؟ .. سألت ، واومأت لينينا برأسها .

ـ « وهل ما زالت الأضواء فاضية يومى الخميس والجمعة ؟ » فهزت لينينا راسها ثانية .

ـ « وذلك البرج الزجاجى الوردى اللون ! » .. ورفعت « ليندا » وجهها الى أعلى وعينين معلقتين استحضرت فى ذهنها تلك الصورة البراقة ، وهمست قائلة : « والنهر أثناء الليل ، والعودة بالطائرة فى

المســـاء بعد لعب مباريات الجولف » .. وانحـــدرت الدموع بطيئة من تحت جفنيها المغلقين .

سحبت نفسا عميقا ، وهزت راســـها ، وفتحت عينيها ونفضت انفها بأصابعها ومسحتها فى ملابسها . وقالت عندما رات تقزز لينينا : « اوه أنا آســـفه ، لم يكن ينبغى على أن أفعل ذلك . لكن ماذا يجب على ان افعل اذا لم تكن هنـــاك مناديل ؟ » .

وهوت ليندا براسها وقالت : « لقد حاولت أن اخبرهم عن خطورة انتشار الأمراض وضرورة الاهتمام بالنظافة عندما جئت الى هنا ، لكنهم لم يفهموا . وفى النهاية يبدو اننى تعودت على ذلك . وعلى اى الأحوال، كيف يتسنى للانســان ان يحـــافظ على نظافه الأشياء طالمـــا لا توجد صنابير مياه ساخنة . انظرى الى تلك الملابس . هـــذا الصوف العظيم ، أليس شبيها بالمواد الصناعية . لا يبلى ابدا . بل تبقى وتبقى ، وينبغى عليك رتقها اذا تمزقت . أنا من فصيلة بيتا . وقمت بالعمل فى غرفـــة الاخصـــاب . ولم يعلمنى احد ابدا

القيام بمثل هذه الأعمال ، ليس هـذا عملى . هذا بالاضافة لأنه ليس من السليم ان نقوم باصلاح الثياب. فالمفروض ان نلقيها عنـدما تبلى وسـترى اخرى جديدة . « احتياج كثير ، وثراء اقـل » كل شيء مختلف هنا . كأنك تعيش وسط اناس مجانين » .

ثم خفضت صوتها وقالت : « خذى مثلا تلك الطريقة التى ينجبون بها . شيء مجنون ، اقول لك ، جنون مطبق . فكل شخص ينتمى الى شخص آخر ، اليس كذلك ؟ » قالت بهمس وهى تشد كم ليسنا . هرت ليتينا راسـها واشاحت براسها بعيدا بسبب رائحة نفس ليندا . **وواصلت كلامها قائلة** : « فعلى سبيل المثال ، ليس مسموحا لأى امراة بالارتبـاط باكثر من شخص واحد . ولو انك التفيت بالرجـال بالشكل العادى يعتقد الآخرون انك انسانة سيئة . ذات مرة جاءتنى مجموعة من النساء وصرخن فى ، لأن رجالهن يحضرون لزيارتى .. فقلت ولم لا ؟ وعندئذ اندفعن ناحيتى .. كان شيئا فظيعـا . لا استطيع ان اخبرك بما حدث » . وغطت « ليندا » وجهها وبدات

تبكى ، « النساء هنا ، فى منتهى الحقد والكراهية . مجنونات ، مجنونات وقاسيات . فهن لا يعرفن اى شيء بالطبع ، عن الرجاجات ولا التلقيح الصناعى ، او اى شيء من ذلك القبيل ، ولذا فهن ينجبن أطفالا طوال الوقت .. مثل الكلاب . شيء مقزز جدا . وكلما فكرت فى اننى أنجب .. اوه ، فورد ! فورد ، فورد ! رغم ان وجود جون يمثل راحة عظيمة بالنسبة لى . لا ادرى ماذا كنت أفعل بدونه . رغم أنه كان يضايق جدا عندما كان يزورنى رجل آخر .. فقد كان يتصرف كصبى صغير . وذات مرة (كان ذلك عندما كبر) حاول أن يقتل المسكين الذى يزورنى . ويرجع ذلك لاننى لم استطع أن اجعله يفهم ابدا ، ان ذلك هو الأسلوب الذى ينبغى أن يمارسه الناس المتحضرون . واعتقد ، انه كان من الصعب عليه ان يدرك ذلك . وعلى اية حال ، فيبدو ان جون اكتسب ذلك من الهنود ، لانه يخالطهم كثيرا بطبيعة الحال . رغم انهم غير ودودين معه ، ولا يدعونه يفعل كل ما يفعله الشبان الآخرون . وقد سهل هذا الأمور

بعض الشيء بالنسبة لى ، حتى أكيفه بعض الشيء . رغم انه ليس لديكم فكرة عن صعوبة ذلك ، فهنـاك الكثير جدا مما لا يعرفه الانسان . وليس من شـأنى ان اعرف . اعنى عندما يسألك طفل عن كيفية تسيير الهليوكوبتر او من الذى خلق العالم .. فمـاذا يمكنك ان تجيب ، اذا كنت من فصيلة البيتا ، وكنت تعمل بصفة دائمة فى غرفة التلقيح ؟ بماذا عساك ان تجيب اذن ؟ !

الفصـــل الثـــامن

هنـــاك بالخـــارج ، حيث التراب والعمامـــة (واربعة كلاب الآن) كان جون وبرنارد يتمشـــيان ببطء ذهابا وايابا .

كان برنارد يقول : « من الصعب جدا بالنســـبه لى ان افهم ، وان أحيط بكل هذه الأشـــياء ، كمـــا لو كنا نعيش فى كواكب مختلفة وعصـــور مختلفة . فالأم ، وكل تلك الفذارة ، والآلهـــة ، ولعصر القديم والأمراض » .. وهز راسه . واستطرد « كل هـــذه اشـــياء لا يمكن تصـــديقها . لن أفهم أبدا الا اذا شرحت لى » .

ـ « اشرح ماذا ؟ » .

ـ « هذه » . واشار الى القرية . « وتلك » .

واشـــار الى البيوت الصـــغيرة المتناثرة على اطراف القرية . « كل شيء . كل حياتك » .

ـ « لكن ماذا يمكن ان اقول ؟ » .

ـ « من البدايـــة . على قـــدر ما تستطيع ان تتذكر » .

ـ « على قدر ما استطيع ان اتذكر » .. وفكر جون بعمق . وحدثت فترة صمت طويلة .

كان الجو حارا جدا . وقد تناولا كميـــة من الكعك والأذرة المسكرة . **وقالت ليندا** : « تعال لتنام . يا صغيرى » . واستلقيا على سرير عريض . « غنى » وغنت ليندا ، اغـــانى الأطفال . وغدا صوتها أوهن فأوهن ...

استيقظ مرعبا على صوت صيحة عاليه . فقد كان هناك رجل ضخم ومرعب ، يقف بجوار السرير . كان يقول شيئا « لليندا » ، وكانت « ليندا » تضحك . كانت قد شدت الملاءة حتى ذقنها ، لكن الرجل جذبها

ثانية . كان شعره يشبه حلقين اسودين وحول ذراعه اسورة فضة جميلة بها فصوص زرقاء . اعجبته الاسورة ، لكنه فى نفس الوقت كان مذعورا ، فاخفى وجهه فى جسد ليندا . ووضعت « ليندا » يدها عليه فأحس بالاطمئنان . ولم يفهم مما قالته للرجل سوى كلمات اخرى سوى « ليس حون موجودا » . لكن الرجل امسك به من احدى ذراعيه ، وكانت تؤلمه . فصرخ . فمد الرجل ذراعه الثانية ورفعها . وامسكت ليندا به وهى تقول : « كلا ، كلا » . وقال الرجل كلمات قصيرة غاضبة .. كان يقاوم ويرفس بقدميه ؛ لكن الرجل حمله واتجه ناحية الباب ، وفتحه ؛ ووضعه على الأرض وسط الحجرة الاخرى . ومضى وأغلق الباب خلفه . نهض وجرى ناحية الباب . ووقف على اطراف اصابعه حتى وصل الى مقبض الباب . أدار المقبض ودفع الباب ، لكنه لم يفتح . وصاح : « ليندا » . لكنها لم ترد .

تذكر أيضا حجرة ضخمة ، معتمة تقريبا ، كانت توجد بها أشياء خشبية ضخمة مثبت عليها

خيوط كثيرة ، ومجموعة من النسوة يقفن حولها .. يصنعن ملاءات ، كما قالت « ليندا » . وطلبت منه لندا أن يجلس فى أحد الأركان مع الأطفال الآخرين ، بينما ذهبت هى لمساعدة النسوه . لعب مع الأطفال لفترة طويلة . وفجأة بدأ الناس يتكلمون بصوت مرتفع جدا ، وامرأة تدفع « لندا » الى الخارج ، وهى تصرخ . واتجهت ناحية الباب وجرى هو خلفها . وسألها عن سبب غضبهم . فقالت : « لاننى كسرت شيئا » . وانتابها غضب شديد وقالت : « كيف يتسنى لى أن أعرف كيفية القيام بعملية النسيج الغبيه تلك . همجيون قطاع » . فسألها عن معنى الهمجية . عندما عادا الى المنزل ، كان بوب منتظرا عند الباب ، ودخل معهما . كان معه جرة مليئة بشىء اشبه بالماء ، لكنه ليس بماء ، شىء كريه الرائحة ، يلسع الفم ويجعلك تسعل ، شربت « ليندا » شيئا منه ، وكذلك بوب ، بعدها شرعت « ليندا » تضحك كثيرا ، وتتكلم بصوت عال جدا ، ثم ذهبت هى و « بوب » الى الحجرة الثانية . عندما انصرف بوب ، دخل

الحجرة . كانت « ليندا » مستغرقة فى النوم على السرير ، ولم يستطع ان يوقظها .

كان يوب يأتى كثيرا . وقال ان الشيء الموجود فى الجرة ، يسمى « ميسكال » ، لكن « ليندا » قالت بل ينبغى ان يسمى « سوما » ، فيما عدا انها تجعل الانسان يشعر بالسقم بعد ذلك . كان يكره يوب . كما يكره كل الآخرين .. كل الرجال الذين يأتون للقاء « ليندا » . بعد ظهيرة احد الأيام بينما كان يلعب مع الأطفال الآخرين ـ وكان الجو باردا على ما يذكر والثلج يغطى الجبال ـ سمع ، عند عودته الى البيت اصواتا غاضبة فى حجرة النوم . كانت اصوات نساء ، يقلن كلمات لم يستطع فهمها ، لكنه كان يعرف انها كلمات فاحشة . وفجاة سمع صوت قرقعة ! شيء يسقط ، وهرج ومرج ، ثم صوت قرقعة اخرى ثم صوت احد يضرب ، بعدها سمع « ليندا » تصرخ ، « اوه ، لا تضربونى ، لا تضربونى ! » . اندفع داخلا . حيث وجد ثلاث نساء متشحات بملاءات سوداء . و « ليندا » على السرير . واحدة من النساء تمسك

رسغيها ، والثانية جاثمـة على ساقيها ، والثالثـه تضربها بالسوط . مرة ، اثنين ، ثلاثه ، وفى كل مرة كانت « ليندا » تصرخ . فأمسك وهو يبكى بيد المرأة البنية اللون وعضها بشدة بقدر ما يستطيع . وصرخت المرأة ، وانتزعت يدها ودفعته دفعـه قوية حتى انه وقع على الأرض . وبينما كان على الأرض ضربته المرأه ثلاث مرات بالســوط . وآلمـه ذلك اكثر من أى ضرب آخر حدث له .. مثل لسعة النار .

ـ « لكن لمـاذا يردن ايذاءك « يا ليندا ؟ » ، سألها تلك الليلة » .

ـ « لا ادرى . كيف يتسنى لى ان اعرف ؟ يقلن ان الرجال الذين يزورونى رجالهن » . ثم انفجرت فى البكاء .

ضمها اليه . ووضـع ذراعـه حول عنقهـا . فصرخت « ليندا » « أوه ! انتبه . كتفى . آه ! » ودفعته بشدة بعيدا عنها ، فارتطمت رأسه بالحائط ، وآلمته . فصرخت « ايها الأحمق ! » وفجـأة بدأت تضربـه .

فصاح فيها : « اوه ، ليندا ، كلا ، لا تضربيني يا أمي ! » .

ــ « أنا لست امك . ولا اود ان اكون امك » . وتحولت الى شخص شرس واخذت تصرخ : « ان يكون لى ابن ، مثل الحيوانات . . . لو لم تكن انت موجودا ، لكان فى استطاعتى ان اذهب للمفتش ، أو ان اهرب بعيدا . لكن ليس ومعى طفل . فذلك مخز جدا .

وشعر بأنها ستضربه ثانية ، فرفع ذراعه ليحمي وجهه ، وهو يقول : « لا تضربيني ، يا ليندا ، ارجوك ، لا تضربيني ! » .

اغلق عينيه متوقعا الضربات ، لكنها لم تضربه . وبعد برهة قصيرة فتح عينيه فوجدها تنظر اليه . حاول أن يبتسم لها . وفجأة إحاطته بذراعيها وقبلته مرات ومرات .

اسعد الأوقات كانت تلك التي تحكى له فيها عن المكان الاخر . . وكيف انه بامكان المرء ان يطير

عندما يشاء ، ويستمع الى الموسيقى التى تنبعث من الصناديق ، وتلك الصناديق التى يمكنك سماع ورؤية ما يحدث فى اى مكان آخر فى العالم من خلالها . والأطفال فى الرجاجات النظيفه ـ وكل شىء نظيف . ولا روائح كريهه ولا قذارة على الاطلاق ـ والناس لا تعيش وحدها ابدا . بل يعيشون معا وسعداء طوال الوقت .

فى بعض الاحيان عندما كان يشعر بالتعب هو وزملاؤه الأطفال من كثرة اللعب ، كان هناك رجل عجوز من رجال القريه يحكى لهم حكايات غريبة عن الآلهة وعن بداية العالم . حكايات غريبة لم يستطع أن يستوعبها تماما . وعندما كان يستلقى على الفراش اخيرا ، كان يفكر فى السماء وفى لندن وفى صفوف الرجاجات النظيفة والمسيح وليندا والطيران ومدبر مركز التفريخ العالمى وفورد نفسه .

كان الأطفال يقولون اشياء سيئة عن « ليندا » والرجال الذين يذهبون لرؤيتها ، احيانا كانوا

يسخرون منه بسبب ثيابه الممزقة ، فعندما كان يمزق ثيابه لم تكن « ليندا » تعرف كيف تصلحها . في المكان الآخر ، كما اخبرته ، يلقى الناس بملابسهم الممزقة ويحصلون على ملابس جديدة . لكن لبندا علمته القراءة ، ورسم اللوحات والحروف على الجدار بطرف فرع شجرة محترق ، وعندما كان الأطفال يسخرون منه كان يقول لنفسه : « لكنني استطيع القراءة ، وهم لا يستطيعون . انهم لا يعرفون حتى ما هي القراءة ».

وعندما اجاد القراءة ، اعطته ليندا كتابا صغير كانت قد احتفظت به مع ملابسها التي جاءت بها من المكان الآخر ، داخل صندوق . كان الكتاب عبارة عن التعليمات الخاصة بعمال « مخزن بيتا للاجنة » عن المواد الكيميائية المطلوبة للتطورات المختلفة عند معالجة الاجنة داخل الزجاجات . لكن رغم انه قرأ كل الكلمات الموجودة جيدا ، وحتى الطويلة منها . لكنه لم يستطع ان يعرف ماذا تعني ؟ .. فسأل « ليندا » : لكنها حتى عندما اجابت لم تستطع ان

تجعل الأمر واضحا تماما . أى أنها لم تستطع الرد على الاطلاق ، بصفة عامة .

وعندما سألها : « ما هى الكيمياء ؟ »

ـ « اوه ، هى أنواع مختلفة من الأمـلاح تجعل العظام تنمو ، ووسيله للمحافظه على فصيله دلتـا والاسـلون بحجمهـا الصغير ، والعكس ، وكل تلك الأشـياء من هـذا القبيـل . وما الى كل ذلك من أنـواع » .

ـ « لكن كيف تصنعون الكيمياء ، يا لبندا ؟ ومن أين تأتى » ؟

ـ « لا أعرف . يمكنـك الحصـول عليهـا من الزجاجات ، وعنـدما تفرغ الزجاجات تبعث للمخزن الكيميائى لطلب المزيد . رجال المخزن الكيميائى هم الذين يصنعونها ، على ما أعتقد . أو ربما يرسلون لطلبها من المصنع . لا أعرف . فأنا لم أقم بأى عمليـة كيمائية ابدا . وظيفتى كانت تختص بالأجنة » .

كان الأمر على هـذا انحو بالنسبة لاى شيء يسأل عنه . ولم يكن يبدو ان ليندا تعرف ابدا أما رجل القرية العجوز فقد كانت لديه اجابات أكثر تحديدا عن كيفية بداية العالم .

ذات يوم (ويعتقد جون انه بعد عيد ميلاده الثانى عشر بقليل) عاد الى البيت ووجد كتابا لم يره من قبل ابدا ملقى على الأرض فى حجرة النوم ، كان كتابا ضخما ويبدو عليه القدم الشديد . حوافه متآكله بأسنان فأر ، وبعض صفحاته ممزقه . التقط الكتاب وتطلع الىٰ عنوانه . كان الكتاب يسمى (الأعمال الكاملة لوليم شكسبير) .

كانت ليندا مستلقية على السرير ترتشف ذلك المشروب الفظيع (الميسكال)من فنجان . **وقالت :** « بوب هو الذى إحضر الكتاب . وجده فى صندوق فى ركن معبد الآلهة . اعتقد انه موجود هناك منذ مئات السنين . واتوقع ان يكون ذلك حقيقيا ، لانني تطلعت فيه ، ويبدو انه ملىء بالهراء . كتاب غير

حضارى . لكن على أية حال ، لا باس به لنتدرب فيه على القراءة ، « انهت كلامها بصوت اجش ثمل . ثم شربت الرشفة الأخيرة ، ووضعت الفنجان على الأرض بجانب السرير ، وانقلبت على جنبها ، وراحت فى سبات عميق .

بدأ يقرأ . وبدأت الكلمات الغريبة تدوى فى رأسه ، مثل دوى الرعد . مثل هدير الطبول فى رقصات الصيف ، لو أن الطبول تستطيع الكلام ، مثل أغانى الرجال أيام حصاد القمح ، كلمات جميلة ، جميلة ، من الممكن أن تجعلك تبكى ، مثل كلمات الساحر العجوز « ميتسيما » التى كان يقولها فوق الريش وعصيه القوسة ، وقطع العظام والحجارة . . لكنها أفضل كثيرا من سحر « ميتسيما » لأنها تتحدث اليه . صحيح انه لم يستطع أن يستوعب الكلمات تماما ، لكنها كانت مليئة بسحر رائع جميل .

وعندما أصبح فى الخامسة عشرة . علمه « ميتسيما » فن صناعة الأوانى الفخارية . وأول

وعاء قام بصنعه ، كان من السوء لدرجة انه مال على جنبه : « لكن الثانى سيكون افضل » .. قال ذلك وشرع فى تشكيل قطعة ثانية من الطين . تعلم كيف يحب عمله . ووجد سعادة بالغة فى صنع الأشياء بيديه ، وفى التعلم كل مرة بأن يقوم بها بشكل افضل. كانا يعملان طوال النهار جنبا الى جنب على شاطىء النهر ، ويغنيان أثناء قيامهما بصناعة الأوانى .

قال العجوز « ميتسيما » فى الشتاء القادم ، سأعلمك صناعة القوس » .

عندما اصبح فى سن السادسة عشرة ، كان يتحتم على الفتيان الآخرين من نفس سنه ان يذهبوا الى المعبد ليلة اكتمال القمر ، حتى يلقنوا الأسرار ، وبعدها يصبحون رجالا . واخيرا حل اليوم الذى ينبغى أن يذهب فيه الى هناك . غربت الشمس، وطلع القمر . وذهب مع الآخرين .

وعند مدخل المعبد كان يقف رجال . عبارة عن اشكال سوداء . وكان هناك سلم هابط يؤدى الى كهف

فى أسفل ، يشع بضوء أحمر . وهبط أول فتى بالفعل . وفجأة تقدم اليه أحد الرجال ، وأمسكه من ذراعه . وأخرجه من الصف . فتخلص منه وعاد بسرعة الى مكانه بين الآخرين . وفى هذه المرة دفعه الرجل وجذب شعره . وقال واحد من الرجال : « لا يسمح لك بدلك ، يا صاحب الشعر الأبيض ! غير مسموح لك . يا ابن الكلبة » . وضحك الفتيان . وصاح الرجال « امش ! » وبينما كان لايزال مترددا وهو يقف عند طرف المجموعه صاح به الرجال ثانية : « امش ! » وانحنى أحدهم ، وامسك بحجر ورماه به . « امش ! امش ! » .. ثم انهمر وابل من الحجارة . وجرى بعيدا والدماء تنزف منه . وانبعث من الكهف المضاء باللون الأحمر اصوات غناء . ونزل آخر الفتيان السلم . وأصبح هو وحيدا .

هناك فى العراء ، خارج القرية ، اصبح وحيدا تماما . وبدت له الصخور وكأنها عظام بيضاء فى ضوء القمر . كانت الكلاب تنبح هناك فى الوادى تحت ضوء القمر . كانت الخنازير تؤلمه ، ومازالت

جروحه تدمى ، وبكى ليس بسبب الألم ، لكن بسبب عزلته ، ولأنه طرد بعيدا ، وحده ، فى تلك المنطقة الجبلية وضوء القمر . جلس على حافة صخرية . كان القمر خلفه ، وتطلع الى الظل الأسود ، ظل الموت الأسود . كل ما عليه أن يخطو خطوة واحدة ، قفزة واحدة ... رفع ذراعه اليمنى تحت ضوء القمر . ومن جرح فى رسغه كانت الدماء ما تزال تقطر ببطء شديد . وكل بضعة ثوان كانت تنزل قطرة ، سوداء ، لا لون لها فى ذلك السواد الحالك . نقطه ، ونقطه ، ونقطة . وتذكر كلمات من مسرحيه ماكبث « غدا وغدا وغدا » .

فى تلك اللحظة تعرف على الزمن والموت . والله .. « وحدى ، دائما وحدى » هكذا كان الفتى يقول .

وأيقظت تلك الكلمات (وحدى ، وحدى ...) أصداء حزينة فى ذهن برنارد . وقال برغبة مفاجئة لمشاركة شخص ما فى مشاعره : « .. وأنا كذلك ، وحيد للغاية » ..

فقال جون باندماش : « انت وحيد ؟ كنت اظنكم في المكان الآخر .. اقصد ، ان ليندا كانت تقول لي دائما ، لا يوجد هناك احد وحيد » .

احمر وجه برنرد بعدم ارتياح . وقال في صوت هامس تقريبا وهو يدير عينيه جانبا في خجل : « ذلك ، لأنني مختلف تماما عن معظم الناس ، على ما أعتقد . فلو حدث اي شيء عند معالجة شخص ما ، فانه يخرج من الزجاجة مختلفا » .

ــ « نعم ، بالضبط تماما » وهز الفتى رأسه : « اذا كان الانسان مختلفا ، فبالتأكيد سيكون وحيدا . ويكونون في منتهى القسوة معه . هل تعلم انهم سدوا كل الأبواب في وجهي تماما ؟ فعندما ارسل الاولاد الآخرون لقضاء ليلة في الجبال .. وأنت تعرف ، خاصة عندما تحلم بحيوانك المقدس . لم يسمحوا لي بالذهاب معهم . لم يرغبوا في احاطتي بأي سر من الأسرار . لكنني رغم ذلك ، تعرفت عليها بنفسي » . ثم أضاف : « لم آكل اى شيء لمدة خمسة ايام ، وذهبت وحدي الى تلك الجبال هناك » وأشار اليها

وانتسم برنارد ابتسامة رثاء بسبب جهله وسذاجته . **وسأله** : « هل حلمت باى شيء » ؟

هز الفتى راسه وقال : « لكنى لا استطيع أن ابوح لك به .

وحدثت فترة صمت لفترة ، **بعدها قال برنارد** : « أود أن اسألك ، عما اذا كنت ترغب فى العودة الى لندن ؟ » .. وقد بدا الخطوة الأولى للحظه التى قرر أن ينفذها ، فقد عرف منذ اللحظة الأولى لدخوله البيت الصغير ، من يكون « والد » ذلك الشاب الهمجى . « هل تود ذلك » ؟

واشرق وجه الفتى . « هل تعنى ذلك حقيقة » ؟

ـ « بالطبع . لو استطعت الحصول على تصريح لك ، من حاكم العالم ، هذا كل ما فى الأمر » .

ـ « وليندا ، ايضا » ؟

ـ « يعنى ... » وتردد بنوع من الشك . **تلك المخلوقة البشعة ! كلا ! ذلك غير ممكن . الا اذا ،**

الا اذا ... وفجأة انضح لبرنارد أن قبحها الشديد هذا من الممكن أن يكون مفيدا جدا . **وقال للفتى :** « اجل ، بالطبع ! » وهو يحاول أن يعطى على تردده الأول باظهار نوع من اسعاده البالغة .

سحب الفتى نفسا عميقا وقال : « وحتى تصدق ان ذلك حقيقى فهذا ما حدث به طلة حياتى. اتذكر ما قاله ميراندا » ؟

ـ « من هو ميراندا » ؟

لكن كان من الواضح أن الفتى لم يسمع السؤال. **فقال :** « أوه ، شيء رائع ! » واشرقت عيناه ، وتهلل وجهه **وقال :** « يا للناس الكثيرين الطيبين الموجودين هنا ! كم هو جميل الجنس البشرى » . وفجأة غاص لون وجهه ، فقد فكر فى لينينا ؛ فكر فى ملاك داخل زجاجة خضراء ، تشرق بالشباب والحيوية ، جسدها ملفوف ، ابتسامتها حلوة .

ـ « أوه ، يالله من عالم رائع جديد » قال ذلك

ثم توقف فجأة وامتقع لونه وسأل برنارد : « هل أنت متزوج بها » ؟

ـ « أنا ماذا » ؟

ـ « متزوج . أى مرتبط .. الى الأبد . فهم يقولون « الى الأبد » بالهندية . أى لايمكن فسخه » .

ـ « أوه ، كلا » .. ولم يستطع برنارد مغالبة الضحك . وضحك جون أيضا ، لكن لسبب آخر . ضحك بسعادة خالصة . وأخذ يردد : « يا له من عالم رائع جديد . يا له من عالم رائع جديد . ويا للناس الذين يعيشون فيه . دعنا نرحل على الفور .

فقال برنارد : « لك طريقة متميزة جدا فى الكلام » .. وهو يحملق فى الفتى بدهشة : « وعلى أية حال ، أليس من الأفضل أن تنتظر ، حتى ترى العالم الجديد بالفعل » ؟

تم التحميل من مكتبة

تم التحميل من مكتبتي

الفصل التاسع

أشارت عقارب الأربعة آلاف ساعة الموجود فى الأربعة آلاف حجرة بمركز « سومزبرى » الى الثامنة وسبع وعشرين دقيقة . كان المركز مليئا بالحيوية . الكل مشغول ، وكل شىء يجرى بشكل طبيعى . وكانت صفوف الزجاجات فوق السير المتحرك ، وفى داخل كل منها جنين ينمو .. تتابع الواحدة بعد الأخرى ببطء ، لكنها تمر بالتأكيد بمراحل المعالجة المختلفة . وهناك فى غرفة أخرى كان يوجد أطفال جدد خرجوا لتوهم من الزجاجات ، يطلقون أول صرخات الفزع والدهشة .

كان صوت الماكينات المشحمة جيدا يرتفع بنعومة من الحجرات ، فى حين كانت المصاعد تندفع الى أعلى وأسفل . وفى الدور الحادى عشر المخصص

كله لرعاية الأطفال كان وقت التغذية قد حل . فقد خرج ثمانمائة طفل من ثمانمائة زجاجة .. وعلى صدر كل منهم تذكرة بها كل التفاصيل الخاصة برتبته والمعلومات الأخرى الضرورية ، مدونة بعناية ، وكلهم يرضعون خلاصة اللبن الحر .

فى الأدوار العشرة ، فوق ذلك توجد عنابر النوم المخصصة للأولاد والبنات الصغار الذين لايزالون فى حاجة لفترة نوم بعد الظهر ، كانوا مشغولين مثل أى فرد آخر ، رغم أنهم لا يعرفون ، بسماع الدروس من خلال برنامج التعليم أثناء النوم . فوق هذه الأدوار العشرة توجد حجرات اللعب ، حيث تبدل الجو الى ممطر ، وكان هناك تسعمائة طفل اكبر قليلا يسلون انفسهم بقوالب الطوب والرمل والطين .

كانت الفتيات تغنين أمام الميكروسكوبات وأنابيب الاختبار فى حين كان رؤساء الأقسام يصفرون أثناء عملهم . ومن حجرة الأطفال جاءت أصوات بكاء وضحكات ! لكن وجه المدير كان متجهما ، عندما دخل حجرة الاخصاب يصحبه هنرى فوستر .

كان يقول : « وعلى سبيل المثال ، هذه الحجره لأنها تحتوى على عمال من الفئة الممتازة اكثر من اى قسم آخر فى المركز . لقد قلت له أن يحضر الى هنا فى الثانية والنصف . آه ! ها هو قد حضر » .

دخل برنارد ، وتقدم بين صفوف المتفرجين بجسارة ، تخفى الخوف الذى كان يشعر به . والصوت الذى قال به « صباح الخير ، ايها المدير » كان عاليا اكثر من اللازم . وعندما حاول ان يصحح خطأه ومضى يقول : « لقد طلبت منى الحضور لأتحدث معك هنا » كان صوته رقيقا جدا ، بل أقرب الى الهمس .

قال المدير ببرود : « اجل ، يا سيد ماركس . لقد طلبتك فعلا للحضور هنا . وانا اعرف انك قد عدت من اجازتك أمس » .

فاجاب برنارد : « اجل » .

ـ « اجل » كررها المدير . ثم فجأة رفع صوته **وقال** : « سيداتى سادتى ، سيدايى سادتى » .

توقفت الفتاة عن انعاء ورفعى رؤوسون من على صف انابيب الاختبار والميكرسكوبات . وعم صمت نقل . وتطلع كل فرد حوله .

وصاح المدير مرة ثانية : « سيداتى ، سادتى . انا آسف لمقاطعة عملكم . ولقد أجبرنى على ذلك واجب قاس . ان امن المجتمع فى خطر . نعم ؛ فى خطر ، أيها السيدات والساده . فهذا الرجل » .. وأشار بأصبع انهام الى برنارد « هـذا الرجل الواقف امامكم هنا ؛ هذا ، الألفا الموجب . الذى منحناه الكثير ، وبالتالى كنا نتوقع منه الكثير ، قد خان الثقة التى ألقيت على عاتقه . من خلال وجهات نظره الآثمة بالنسبة للرياضة والسوما ؛ وعدم تقديره المخزى لأسلوب حياته ، ورفضه الانصياع لمعاليم فورد ، وتصرفاته خارج نطاق ساعات العمل . (مثل طفل داخل زجاجة) » . وهنا قام المدير برسم علامة حرف

(T) تى ، لقد أثبت انه عدو للمجتمع ، ويمثل خطرا ، سيداتى سادتى .. بالنسبة لكل المواطنين انه

رجل اتهم ان يحطم المدينة نفسها . ولهذه الأسباب: اقترح ان نطرده من الوطيفة التى احتلها فى هذا المركز . واقترح ان ينقلوا عمله فورا الى احد المراكز الاقليمية الأقل اهمية ، وهكذا يكون عقابه لصالح العام للمجتمع ، ويتم ابعاده بأسرع ما يمكن عن أى تمركز مهم للسكان . ففى ايسلندا سوف تكون فرصته قليلة ليقود الآخرين نحو الجريمة بواسطة تمرده على فورد » .

توقف المدير عن الكلام وفرد ذراعيه والتفت بوقار ناحية برنارد وقال له : « ماركس ، هل بامكانك أن تقدم لنا مبررا بمنع تنفيذ هذا القرار ؟ » .

فقال برنارد بصوت عال جدا : « نعم بامكانى » .

فقال المدير وقد اخذ بعض الشيء لكنه مازال محتفظا بوقاره : « اذن اعرضه علينا » .

— « بالتأكيد . وهو موجود بالممر . لحظة واحدة » .

وأسرع برنارد ناحية الباب وفتحه على مصراعيه. وقال بلهجة آمرة : « ادخل » ودخل المبرر وعرض نفسه .

وندت صيحة فزع ودهشة . وصرخت فتاة شابة . وكسر احدهم أنبوبتي اختبار بمحتوياتهما . عندما اعتلى كرسيا لتتاح له فرصة مشهده افضل .. فلقد دخلت « ليندا » الى الحجرة . سمينة ، أصابعها منفرجة وبدت صورتها غريبة مرعبة ، وسط تلك الأجساد الرشيقة الشابة وتلك الوجوه البشوشة ، دخلت وهي تبتسم ابتسامة جعلت ملامحها تتلوى فاظهر الفراغ الأسود لأسنانها المهشمة. وكان برنارد يسير الى جوارها .

وقال : « ها هو » وأشار الى المدير .

فاجابت ليندا بغضب : « وهل تعتقد انني لا أعرفه ؟ » . ثم التفتت الى المدير وقالت : «بالطبع اعرفك ، (ياتوماكين) . وأستطيع التعرف عليك في أي مكان ، من بين الف . لكن من المحتمل

أن تكون قد نسيت . الا تذكر ؟ الا تذكر ، يا توماكين حبيبتك ليندا ؟ » .

ووقف يحملق فيه ، ورأسها يميل على جانب ، فى حين بدأت ابتسامتها تتلاشى عندما رأت نظرة الاحتقار على وجه المدير : « الا تذكر ، يانوماكين ؟ » ظلت تردد ذلك بصوت مرتعش ، وكانت عيناها تتسمان بالقلق والارتياع . واكتسى وجهها بمسحة من الحزن العميق . ومدت ذراعيها الى الأمام **وقالت :** « توماكين » . وبدا بعضهم يضحك .

ومضى المدير يقول : « ما معنى هذه الجريمة ؟ » .

ـ « توماكين ! » .. قالت ذلك واندفعت ناحيته وهى تجرجر ملاءتها خلفها ، والقت بذراعيها حول عنقه ، ودفنت وجهها فى صدره . ارتفعت موجة عالية من الضحك .

وصاح المدير : « هذه محاولة اجرامية من خلال نكتة عملية ؟ » .

وحاول جاهدا وقد احمر وجهه ان ينزع نفسه بعيدا عن ذراعيها . لكنها امسكت به فى يأس **وقالت:** « انا ليندا ، انا ليندا » .. لكن الضحكات غطت على صوتها .. **لكنها صرخت باعلى صوتها حتى تتغلب على هذه الضجة** : « لقد جعلتنى انجب طفلا ».. وعلى الفور خيم صمت مريب . ووقف الجميع بعدم ارتياح لا يعرفون الى اين ينظرون . وفجأة شحب لون المدير ، وكف عن مقاومتها ، ووقف ويداه على رسغيها ويحملق فيها بفزع : « نعم ، طفل ـ وكنت انا امه » .. وابتعدت عنه وكلها خجل ، وعار ، وغطت وجهها بيديها وشرعت فى البكاء . « لم تكن غلطتى ، ياتوماكين . لاننى كنت اتبع التعليمات دائما ، الم اكن افعل ؟ الم اكن افعل ؟ دائما .. وانا لا اعرف كيف .. ؟ ولو تعلم كم كان ذلك فظيعا ، ياتوماكين .. لكنه بأى حال من الأحوال، كان عنصر راحة بالنسبة لى » .. ثم اتجهت ناحية الباب **ونادت** : « جون ، جون ! » .

دخل جون على الفور ، وتوقف للحظة على

عتبة الباب ، وتطلع حواليه ، ثم سار بسرعة عبر الحجرة ، ثم ركع على ركبتيه أمام المدير ، **وقال في صوت واضح** : « أبى ! » .

ووضع كلمة **الأب** نهاية لهذا الصمت المفاجىء الذى استهل به عند دخوله . وانفجر الضحك ، وتكرر انفجاره حتى يخيل اليك انه لن يتوقف . « أبى » .. ومن يكون ؟ **المدير** ! **أبى** ! اوه فورد ! .. اوه فورد ! .. حقيقة كان الوضع مضحكا جدا ! وعالت صيحات الضحك مرة ثانية ، وانهمرت الدموع من الوجوه التى ترافب الموقف . وانكسرت أكثر من ست أنابيب اختبار . **ابى** ؟ !

وحملق فيه المدير بوجه شاحب ، وعينين شرستين ، وهو فى منتهى الحرى ، والعجز .

أبى ! .. وانفجرت الضحكات ثانية بصوت أعلى وبطريقة لم تحدث أبدا ؛ بعد أن كاد يتلاشى ، فوضع يديه على أذنيه واندفع خارجا من الحجرة .. !

تم التحميل من

تم التحميل من
مكتبة

الفصل العاشر

بعد مشهد حجرة الاخصاب ، اصبحت كل الطبقات العليا فى لندن تتوق لرؤية ذلك المخلوق المرح الذى ركع على ركبتيه أمام مدير مركز التفريخ والتكيف .. أو بالأحرى المدير السابق ، ذلك ان الرجل المسكين استقال على الفور بعد ذلك الموقف ، ولم تطأ له قدم ابدا داخل المركز مرة ثانية .. ركع على ركبتيه وناداه (اصبع الأمر من قبيل النكتة الحقيقية) ابى .. اما بالنسبة لليندا ، فلم يكن لها ادنى اهتمام من جانبهم . ولم يكن لدى اى شخص الرغبة فى رؤيتها فان يقال بأن امرأة كانت أما .. فهذا ليس من قبيل النكتة ، بل شيئا يبعث على الاشمئزاز، بالاضافة الى انها لم تكن همجية حقيقية . فقد استولدت داخل زجاجة وتم تكيفها مثل اى شخص آخر ، لذا لم تكن لديها افكار غير عادية .

كما أن هناك مبررا آخر قويا فى عـدم رغبـة الناس لرؤيتها .. الا وهو مظهرها .. فهى سمينة ، وفقدت شبابها ، وبشرتها كالحة ، واسنانها فظيعة وشكلها (اوه فورد) .. ببـساطة لا يستطيع الناس ان يتطلعوا اليها ، الا مع الشعور بالعشيان ، نعم ، العشيان الحقيقى ، لذا فقد صمم فضـلاء الناس ، على عدم رؤية ليندا . كما ان ليندا ، لم تكن ترغب من جانبها فى رؤيتهم . كانت عودتهـا للتحضر تعنى عودتهـا للسـوما ، وامكانيـة الرقـاد على السرير والحصول على اجازة بعد اجازة ، دون أن يعاودها الصداع ابدا ، او الاحسـاس بالمرض .. وكذلك لن تكون فى مثل تلك الحـالة التى كانت تنتابها بعد شرب الميـسكال ، الذى يشـعرك بأنك قمت بشىء مخجل لا تستطيع بعده أن ترفـع راسـك ، لكن السوما لا تحدث مثل هذه الآثار اللعينة .

كانت الاجازة التى منحت لها كافية ، واذا كان الصحو منها غير مقبول ، فان ذلك لا يكمن فيها ، وانمـا فى المقرنـة بالمرح والسـعادة الذى يكمن فى

الاجازة . فكان العلاج أن تستمر الاجازة . وكنت تطلب بشراهه كميات كبيرة من السوما ، ولم يكن دكتور شو راغبا فى ذلك فى البداية ، لكنه تركها بعد ذلك تتناول ما تريد .. كانت تتناول ما يعادل عشرين جراما فى اليوم . أكثر بكثير من المعدل المعتاد .

وقال الدكتور لبرنارد فى ثقة : « سوف تقضى الحبوب عليها خلال شهر او شهرين .. سوف يتوقف جهازها التنفسى عن العمل ذات يوم . لن يبقى فيها نفس .. تنتهى . وهناك شىء آخر . وهو اننا لا نستطيع أن نعيدها شابة ثانية . لاشىء يمكن فعله ! » .

ولدهشة الجميع ؛ فقد رفض حون هذا الأسلوب فى العلاج . (لأن اجازات تعاطى السوما ليست هى السبيل الصحيح) .

ـ « لكن ألا تعجلون بنهاية حياتها باعطائكم الكثير لها ؟ » .

واعترف دكتور شـــو قائلا : « بمعنى من المعانى، أجل ، وبمعنى آخر نحن نطيل عمرها ! » .

وحملق فيه الشاب ، متحيرا .

وواصل الدكتور كلامه : « صحيح ان السوما تجعلك تفقد بضعة اعـــوام من الزمن ، لكن فكر فى الفترات الرائعة التى يمكن ان تهبها لك ، خـــارج اطار الزمن . وكل اجازة ســـوما هى جزء مما كان الناس يسمونه فى القرون السابقة ، الخلود » .

وبدا جون يفهم ، **وغمغم قـــائلا :** « الخـــلود كان فى اعيننا وعلى شفاهنا » .

ـ ماذا تقول ؟

ـ « لا شىء » .

واصل دكتور شـــو كلامه قائلا : « وبالطبع ، لا يمكن أن تسمح للناس بمواصلة زياراتهم للخلود ، اذا كان لديهم اعمـــال جادة يقومون بها ، اما بالنسبة لها فليس لديها اى عمل مهم .. » .

فجادله جون : « على اية حال ، انا لا اعتقد ان ذلك صحيح » .

فاشح الدكتور بوجهه بنفاد صبر وقال : « هذا صحيح ، بالطبع ، اذا كنت تفضل ان تجعلها تصرخ فى جنون طوال الوقت » .

فى النهاية كان جون مجبرا على الاستسلام . ومنذ ذلك الوقت ظلت ليندا فى غرفتها الصغيرة بالدور السابع والثلاثين بشقة برنارد ، تتناول كميات السوما المقررة فى صحبة الرادو والتليفزيون واقراص السوما فى متناول يدها .

كان جون ، هو الذى يريد الجميع رؤيته . ولما كان ذلك لا يتم الا من خلال برنارد ، فقد أصبح برنارد مشهورا لأول مرة فى حياته .

كان الجميع يحاولون الحصول على دعوات لحضور حفلاته المسائية لمقابلة الهمجي ، وقد قال لصديقة هلمولتز واتسون ، انه بامكانه ان يحضر اى عدد من الفتيات لمجرد ان يتجمهرن حول شقته .

قال برنارد وهو يشير الى اعلى : « اخف من الهـواء » .

وكان بالون قسم الارصاد الجوية ، مثل اللؤلؤة فى السـماء عاليـا ، عاليـا فوقهم ، يشـع بألوان قرمزية تحت اشعة الشمس .

ـ « ينبغى على الهمجى ان يرى الحياة المتحضرة بكل عنـاصرها » .. هـكذا كانت تقضى تعليمـات برنـارد .

جعلوه يشاهد المنظر العام للمدينة من اسفل ، ثم جعلوه يشاهده من أعلى برج تشارنج تى . وكان مدير محطـة الاختبارات الجوية ومسـاعده يقومان بدور المرشد . فى حين كان برنارد يقوم بالشرح كله . كان يتصرف وكأنه زهو ، كما لو أنه على اقل تقدير ، حاكم العالم يقوم بزيارة .. كان أخف من الهواء .

هبط صـاروخ بومباى الأخضر من السـماء . ونزل المسافرون من الصاروخ . ومن خـلال ثمانى

نوافذ فى حجرة القيادة تطلع ثمانية افراد يرتدون الكاكى وكلهم متشابهون .. هم طاقم المضيفين .

قال مدير المحطة بزهو : « يقطع اثنى عشر ألفا وخمسين كيلو مترا فى الساعة . ما رأيك فى ذلك أيها السيد الهمجى ؟ » .

فكر جون مليا وقال : « مازال فى استطاعه المفرت آريل أن يلف حول العالم فى اربعين ثانية » .

وقد كتب برنارد فى تقريره الى « مصطفى موند » (بأن الهمجى يبدى قليلا من الانبهار والاعجاب ، بالمخترعات الحضارية . وهذا يعود . بلاشك ، الى أنه سمع عن هذه المخترعات من خلال « ليندا » والدته) .

(قطب مصطفى موند جبينه وقال : هل يعتقد ذلك الاحمق اننى سأصدم بتلك الكلمات المكتوبه بالخط المريض ؟) .

« خاصة إهتمامه الذى يتركز حول ما يسميه

(الروح) التى يعتبرها شيئا منفصلا كلية عن الجسد ، بالرغم من اننى حاولت ان اشير عليه » .

والقى الحاكم نظرة سريعة على الجمل التالية ، وكان على وشك ان يقلب الصفحة بحثا عن شيء اكثر تحديدا ، واكثر تشويقا ، عندما وقعت عيناه على بعض الجمل الغريبة تماما . فقرأ : « رغم اننى أعترف بانفاقى مع الهمجى فى وجهة نظره بأن الطفولة المتحضرة شيء سهل جدا ، او كما يراها هو ، وليست مكلفة للغاية ، الا اننى اود ان انتهز هذه الفرصة لألفت نظر الهكم فورد الى ... » .

وانقلب غضب مصطفى موند الى نوع من المرح. ففكرة ان هذا المخلوق يعلمه ـ يعلمه ـ المواضعات الاجتماعية كانت فى منتهى الغرابة حقيقة . لابد ان الرجل قد جن . **وقال لنفسه** : « لابد ان القنه درسا » . واخذ يضحك بصوت عال . لابد ان يلقن الدرس فى النهاية .

كتب برنارد : « ان الهمجى ، يرفض تناول

« السوما » ، ويبدو مهموما بسبب تلك المرأة ، لبندا ، والدته .. لأنها ما زالت في اجازتها الدائمة . ومن الجدير ملاحظته ذلك ، بالرغم من الحالة الذهنية المصمتة لوالدته .. وقبح منظرها الشديد . والهمجي يذهب لزيارتها بصفة دائمة ويبدي ارتباطا شديدا بها .. وهذا مثال ظريف للطريقة التي يمكن بها تعديل التكيف المبكر ونفذ بطريقة معاكسة للغرائز الطبيعية (في هذه الحالة تنسحب الغرائز الطبيعية من التصرفات غير السارة) .

دخلت لينينا غرفة استبدال الملابس وهي تغني .

فقالت فاني : « تبدين سعيدة جدا بنفسك » .

فاجابت : « انا سعيدة ، لأن برنارد اتصل تليفونيا من نصف ساعة ، أخبرني أن لديه مهمة مفاجئة ، وطلب مني أن أصحب الهمجي الى السينما هذا المساء . ولابد أن أسرع » .. وجرت ناحية الحمام .

ـ « انها فتاة محظوظة » .. قالت فانى ذلك لنفسها وهى تراقب ليسينا وهى تذهب .

اخذت ليسينا والهمجى ينصتان الى الموسيقى المبعثة من الأورج الكهربائى ، وهما غارقان فى كرسيين وثيرين داخل السينما .. وسرعان ما تلاشت الأضواء وبدأ الفيلم ، بالألوان الطبيعيـة ، وشخوصه اكبر بكثير من الحجم الطبيعى .

كانت قصة الفيلم فى منتهى البساطة . بعنوان « ثلاثة اسابيع داخل هليوكوبتر » . سقط شاب زنجى من طائرة هليوكوبتر عى راسه ، فاصيب بالجنون ، وفقد السيطرة على مشاعره . ووقع فى حب فتاة شقراء جميلة من فصيلة بيتا موجب .. ورفضت الاستجابة له او فعل اى شىء فأمسك بها ، ودفع بها داخل طائرته الهيوكوبتر رغم مقاومتها وطار الى السماء وظل محتفظا بها ثلاثة اسابيع . وهو يحاول ان يجعلها ترضخ لعواطفه . اخيرا ، وبعد عدة مغامرات تضم بعض المشاهد المثيرة فى

الهواء ، استطاع ثلاثة شبان من فصيلة الفدا ، انقاذها . وارسل الزنجي لمركز اعادة التكيف . وانتهى الفيلم بشكل مناسب ومقبول .. وتلاشت المشاهد واضيئت الأنوار وانبعثت الموسيقى تملأ قاعة السينما مرة ثانية . وهكذا انتهى العرض .

لم تكن نهاية الفيلم هي النهاية بالنسبة لليلينا . فبينما كانا يتحركان ببطء مع الجمهور تجاه المصاعد ، كانت ما تزال تشعر بالعواطف التي ايقظها فيها الفيلم . احمرت وجنتاها ، ولمعت عيناها واخذت تتنفس بعمق . فتعلقت بذراع الهمجي وضغطت به على جسمها . فتطلع اليها للحظة ، وهو شاحب ، متألم ، وكله رغبة لكنه خجل من رغبته . فلم يكن متهيأ بما فيه الكفاية ، وليس .. والتقت أعينهما للحظة . وكم فيهما من اغراء ! وتتبدى فيهما العاطفة . وبسرعة نظر بعيدا ، وحرر ذراعه من قبضتها . فقد كان يخشى ان يكون قد أساء الفهم تماما . وانتابه احساس ما ، انها ربما تكف عن صداقته ، وهو لا يريد لذلك ان يحدث .

فقال : « أنا لا أعتقد أنه ينبغى عليك أن ترى الأمور على هـذا النحو » .

ـ « على أى نحو يا جون ؟ » .

ـ « على نحو ذلك الفيلم الفظيع » .

ـ « فظيع ؟ » اندهشت لينينا جدا ، وقالت : « لكننى أرى أنه فيلم رائع » .

ـ « بل فيلم مخجل » . قـال ذلك بغضب وأردف : « بل مقزز » .

هزت رأسـها وقـالت : « لا أعـرف مـاذا تقصـد ؟ » .

لم هو غريب الأطوار هكذا دائما ؟ ولمـاذا يفسد كل الأشياء دائما ؟ .

داخـل التاكسى الهليوكوبتر كان ينظر اليهـا بصعوبة . فقد كان مقيدا بعهود قوية لم يصرح بها أبدا ، ومطيعا للقوانين التى توقف مفعولها منذ فترة

طويلة ، وجلس فى صمت ، وراسه منتفتة بعيدا عنها .

وهبط التاكسى الهليوكوبتر فوق سطح عمارة لينينا السكنية . « اخيرا » .. فكرت بمرح وهى تخرج من التاكسى . اخيرا .. رغم انه كان غريب الأطوار جدا حتى الآن . تطلعت فى مرآة يدها ، وهى واقفه تحت احد المصابيح . اخيرا . انفها فى حاجة الى قليل من البودرة . فاخرجت البدارة من علبه البودره . بينما كان هو يحاسب سائق التاكسى .. كانت هناك فرصه امامها . وبدرت الجزء اللامع من انفها وفكرت : « ان منظره جميل جدا . لا حاجة به لأن يخجل مثل برنارد رغم .. أن اى رجل كان يمكنه فعلها منذ فتره . والآن ، جاءت الفرصة اخيرا » . وفجاة ابتسم لها الجزء الذى تراه من وجهها فى المرآة .

ـ « لعلة طمة » نطق بها صوت من خلفها ملىء بالضيق . والتفتت لتنينا بحده . فوجدته

واقفا داخل باب التاكسى الهليوكوبتر ، وعيناه ثابتتان ، محملقتان . من الواضح انه كان يتطلع اليها طيلة الوقت الذى كانت تنشر فيه البودرة على انفها ـ منتظرا ـ لكن لماذا ؟ او مترددا ، يحاول ان يستقر على راى ، وهو يفكر ويفكر ـ طوال الوقت ـ فى انها ربما لا تتخيل ما يعتريه من افكار غريبة . **وقال لها ثانية** : « ليلة طيبة ، يا لينينا » وبدا لمجهودا يائسا غريبا لكى يبتسم .

ـ « لكن ، جون .. كنت اعتقد انك سوف .. اقصد ، الن .. ؟ » .

اقفل الباب وانحنى على السائق يقول له شيئا . وارتفعت الطائرة بسرعة فى الهواء .

عندما تطلع الهمجى من النافذة الى اسفل ، استطاع ان يرى وجه لينينا متطلعا الى اسفل ، شاحبا تحت ضوء المصابيح . كان فمها مفتوحا ، تنادى . وتلاشى شكلها بعيدا عنه . وغدا مربع سطح

العمارة اصغر واصغر وهو يتراجع الى اسفل فى الظلام .

بعد خمس دقائق كان فى حجرته . واخرج من مكان امين ، كتابه القديم البالى ، وشرع يقلب صفحاته المتهرئة بحرص ، وبدا يقرأ مسرحية **عطيل** .. تذكر ان عطيل ، مثل بطل فيلم « ثلاثة اسابيع فى هليوكوبتر » .. لأنه اسود .

سارت لينينا عبر السطح الى المصعد ، بعد أن جففت عينيها . وفى طريقها الى الدور السابع والعشرين فى اسفل ، اخرجت زجاجة أقراص السوما . وقررت أن جراما واحدا لن يكون كافيا . فتجربتها التعسة ، كانت تتطلب اكثر من جرام واحد. لكنها اذا تناولت جراميين ستكون مخاطرة ؛ يمكن بسببها الا تستيقظ فى الوقت المحدد صباح الغد . وقررت أن تتجنب الحدين الأقصى والأدنى ، وتناولت من راحه يدها اليسرى ثلاث حبات سوما من وزن النصف جرام !

الفصل الحادى عشر

تحتم على برنارد أن يصيح بصوت عال من خلال الباب المغلق . لأن الهمجى لا يريد أن يفتح الباب .

ـ « لكن الجميع هناك ، ينتظرونك » .

ـ « دعهم ينتظرون » .. جاء الرد بصوت واهن خلال الباب .

ـ « لكنك تعرف تمام . يا جون ، انني دعوتهم بغرض رؤيتك » .

ـ « كان يجب عليك أن تسألنى أولا ، اذا كنت أريد مقابلتهم أم لا ! » .

ـ « لكنك دائما كنت تحضر قبل ذلك » .

ـ « أجل ، وذلك بالضبط ، ما يجعلنى لا اريد الذهاب ثانيـــة » .

وحـــاول برنارد اقناعه .. لكن لم يكن الأمر سهلا من خلال باب مغلق .. « لمجرد أن تسعدنى . الا تريد الحضور لاسعادى ؟ » .

ـ « كـلا » .

ـ « هل تعنى ذلك حقا ؟ » .

ـ « نعـم » .

ـ « لكن ، ماذا يتحتم على أن افعل الآن ؟ » صرخ برنارد فى يأس :

ـ « فلتذهب الى الجحيم ! » .. صـــاح جون بصوت غاضب من الداخل .

باءت كل محاولات برنارد بالفشـــل ، لحمل جون على الخروج . فى النهاية تحتم عليه ان يعود الى بيتـــه ويخبر كل ضيوفـــه المنتظرين هنـــاك فى

شوق ، بأن الهمجي لن يظهر هذا المساء . فغضبوا غضبا شديدا . وشعروا بانهم قد خدعوا بتصرفات ذلك البرنارد القليل الأهمية وسمعته المشكوك فيها وآرائه الاجتماعية المضادة .

انزوت ليننا منعزلة فى ركن ولم تتكلم . جلست ، شاحبة الوجه ، وعيناها الزرقاوان مليئتان بحزن غير عادى ، وانفصلت عن كل الذين حولها ، باحساس غريب لم يشاركها فيه احد . لقد حضرت الى هذه الحفلة وقد تملكها احساس غريب ، مزيج من القلق والمرح . فقد قالت لنفسها عندما دخلت الحجرة : « خلال دقائق قليلة ، سوف اراه واتحدث اليه ، وافضى اليه » . (لأنها حضرت وقد قررت) . « انا احبه .. اكثر من اى انسان آخر عرفته . ومن المحتمل ان يقول لى ... » .

ـ « ماذا كان يمكن أن يقول ؟ » واندفعت الدماء الى وجنتيها .

« لماذا كان تصرفه غريبا فى تلك الليلة ، بعد

السينما ؟ .. غريبا جدا . ورغم ذلك فأنا على ثقة تامة من انه يحبني جدا . انا متأكدة » .

في تلك اللحظة كان برنارد قد اعلن ان الهمجي لن يحضر الحفلة .

واعترى لينينا احساس فظيع بخيبة الأمل والحواء . وبدا كما لو ان قلبها سيتوقف عن الدق .

ـ « ربما لأنه لا يحبني » . قالت ذلك لنفسها. وعلى الفور نما هذا الاحتمال داخل ذهنها وتحول الى يقين . لقد رفض جون الحضور لأنه لا يحبها . لا يحبها ...

كان الجميع من حولها يناقشون رفض الهمجي للحضور بغضب ، ويلومون برنارد على كل هذا الخطأ الذي حدث . وسرعان ما انصرف الضيوف الواحد تلو الآخر .

كانت لينينا آخر المنصرفين ، وسارت حزينة خارج الغرفة . وبقي برنارد وحده . واستولت عليه

حالة من الاحباط وخيبة الأمل . فارتمى على كرسى ، وغطى وجهه بيديه وشرع فى البكاء .

اما الهمجى ، فقد جلس فى غرفته بأعلى يقرأ مسرحية « روميو وجولييت » .

فى صباح اليوم التالى ، لم يستطع برنارد ان يخفى عن الهمجى مدى ما شعر به من حزن . وابدى الهمجى نوعا من التعاطف معه ، لم يكن يتوقعه برنارد . وقال له وهو يبدى له كل اسفه : « انت مازلت كما كنت فى مالبيز . اتذكر عندما تكلمنا لأول مرة ؟ خارج البيوت الصغيرة . انت مازلت كما كنت هناك ! » .

ـ « لاننى غير سعيد ، هذا هو السبب » .

ـ « حسن ، لكم أود ان أكون غير سعيد ، على ان انال تلك السعادة الزائفة الكاذبة التى تنالونها هنا » .

فقال برنارد بمرارة : « انا مندهش من امرك . لأنك تقول ذلك ، خاصة وقد كنت السبب فى كل ما حدث . عندما رفضت الحضور الى الحفلة وجعلت الجميع ينقلبون ضدى ! » .. كان يعرف ان ما يقوله ليس عدلا . واعترف لنفسه بصحة كل ما قاله الهمجى الآن عن عدم جدوى الأصدقاء الذين ينقلبون الى اعداء قساة لأتفه الأسباب . وظل برنارد يشعر تجاه الهمجى ، بغضب خفى ، رغم ما يكنه له من تعاطف حقيقى .

كان صديق برنارد الآخر هلمولتز واتسون ، يعاني مثله من العزلة ، والأفكار غير المتوافقة . ولقد سبق تحذير هلمولتز رسميا بسبب بعض الأشعار التى نظمها وقرأها لطلبة كلية الهندسة العاطفية ، باعتبارها شيئا خطيرا ولا ينبغى تكراره . كان الشعر يمتدح الصمت ، صمت الانسان عندما يكون وحيدا ويستطيع ان يستمتع بأفكاره ومشاعره . وقدم الطلبة تقريرا عنه للمسئولين . **وقال برنارد :** « انا لست مندهشا ، فهذا ضد كل اساليبهم

التعليمية تماما . خاصة اسلوب التعليم اثناء النوم » .. وتذكر ان لديهم ربع مليون تحذير على الأقل ضد التفرد .

ـ « اعرف . لكننى اود ان ارى ماذا يكون رد الفعل » .

ـ « حسن ، لقد رأيته الآن » .

ضحك هلمولتز **وقال بعد فترة** : « اشعر ، كما لو اننى قد بدأت كتابة شيء عن هذا الأمر ، الآن . كما لو اننى قد بدأت استخدام تلك القوة السحرية التى تكمن داخلى . هناك شيء يجتاحنى » .

وبالرغم من كل متاعبه ، فقد احس بأن برنارد يشعر بسعادة عميقة .

اعجب كل من هلمولتز والهمجى ببعضهما على الفور . فقد كان هلمولتز يقرأ عليه اشعاره التى تلقى بسببها تحذيرا من المسئولين . وكان الهمجى يرد عليه ببعض سطور من كتابه القديم لدى اثر

اعجاب هلمولتز بطريقة لم يسبق لها مثيل من قبل ، لكن هلمولتز لم يستطع ببساطة فهم حكايـة روميو وجولييت عندما قراها عليه جون بعاطفة جياشة . (حيث كان يرى نفسه طول الوقت « روميو » ولينينا « جولييت ») .

وانفجـر هلمولتز ضاحـكا لقـرار الأب والأم (وهذه كلمات مقززة فى حد ذاتها) لاجبار الابنة على الارتباط بشخص لا تريده ! وتلك الفتـاة البلهـاء التى لا تستطيع أن تصرح بأن لديها شخصـا آخر (بغض النظر عن اى شيء) تفضله . كان الموقف فى منتهى السوء . وفى نفس الوقت فى منتهى الطرافة ، لدرجة أن هلمولتز ظل يضحك حتى انهمرت الدموع على خديه . فنظر اليه الهمجى فى غضب ، واغلق كتابه ، ونهض من على كرسيه ، ووضعه فى الدرج واغلقه عليه .

ـ « رغم ذلك » .. قال هلمولتز ذلك عندما استطاع أن يلتقط أنفاسه بمعتذر ، وحاول أن يقنع الهمجي ليصغى الى تفسيره . « فأنا أعلم تماما بأن هذا الموقف المستحيل ، يحتاج الى مجنون لكى يكتبه . وحقيقة لا يستطيع الانسان ان يكتب بشكل جيد عن أى شيء آخر لكن لمادا حقق ذلك المؤلف القديم تلك الشهرة الكبيرة ككاتب ؟ لأنه كان يمتلك مشاعر حقيقية قوية ، وافكارا كثيرة غريبة ، حتى ينفعل بها . اعلم انك تضايقت وتألمت . والا فلن تكون لديك القدرة للتفكير فى الجمل الحقيقية الجيدة ، تلك التى تثير انتباه الذهن والقلب وتعيش فى الذاكرة . لكن مساله الآباء والأمهات ! فأعتقد أنك لا تتوقع منى ان اكون جادا بخصوصها .. ومن ذلك الذى سيهتم ، اذا كان الشاب قد حصل على الفتاة أم لم يحصل عليها ؟

(فأجفل الهمجي ، لكن هلمولتز الذى كان ينظر

الى الباب متأملا لم ير شيئا) ثم قرر وهو يتنهد :
« كـلا ، ذلك لا يناسبنا . نحن نريد نوعا آخر من الجنون ، نوعـا آخر مختلفـا من العواطف ، حتى تسيطر على عقولنا ، ونكون متحكمين فى خيالنا . لكن كيف ؟ وأين يمكن ان أجده ؟ » .

قال ذلك وسكت . ثم هز راسه وقال اخيرا :
« لا ادرى ، لا ادرى » ...

الفصل الثانى عشر

ظهر هنرى فوسنر الى جوار لنينا تحت الاضاءة الحمراء فى مخزن الأجنة . « أتودين الذهاب معى الى السينما هذا المساء ؟ » .

هزت لينينا راسها دون أن تتكلم :

ـ « هل ستخرجين مع أى احد آخر ؟ » .. كان يهمه ان يعرف ابا من أصدقائه تفضله على الآخرين . **فسألها : « أهو برنارد ؟ »** .

ـ فهزت راسها مرة ثانية .

لاحظ هنرى أنها مجهدة للغاية ، برغم ضعف الاضاءة .

ـ « أرجو الا تكونى مريضة ؟ » .. سألها

بقلق زائد ، وكان تخشى أنها ربما تعانى من أحد الأمراض القليلة المعدية .

هزت لينينا رأسها أيضا .

ـ « على أى الأحوال يجب ان تذهبى للطبيب » .. ثم أضاف بابتهاج مستخدما مثلا لا يفشل فى رفع معنويات الناس : « طبيب اليوم ، يبعد عنا المرض واللوم » .

ـ « أوه بحق فورد ! الا تسكت ! » .. قالت لينينا ذلك أخيرا وحطمت حاجز صمتها . ثم اتجهت ناحية منضدة عملها .

ـ « يقول ان أذهب الى طبيب ! » كان من المفروض أن تضحك ولا أنها كانت على حافة البكاء .. لا يستطيع طبيب أن يشفيها مما هى فيه . وتنهدت بعمق وتمتمت لنفسها : « أيه جون ، جون .. ! » .

بعد مضى ساعة ، وفى حجرة تغيير الملابس ، كانت فانى تعترض بصوت عال : « لكنه من الحماقة

ان تدعى نفسك لتصبحى فى مثل هذه الحالة » .. ثم **كررت** : « منتهى الحماقة ، ومن اجل من ؟ رجل ــ رجل واحد ؟ ! » .

ــ « لكنه الرجل الذى اريده » .

ــ « وكأنه لا يوجد ملايين الرجال الآخرين فى العالم ! » .

ــ « لكنى لا اريدهم » .

ــ « وكيف يتسنى لك أن تعرفى ، اذا كنت لم تحاولى ؟ » .

ــ « لقد حاولت »

ــ « مع كم ؟ » .. **سألتها فانى** : « رجل ؟ اثنان ؟ » .

ــ « مع العديد » **قالت وهى تهز راسها** : لكن بلا فائدة » .

فقالت فانى : « اذن ، استمرى فى المحاولة ولا تفكرى فيه » .

ـ « لا استطيع » .

ـ « اذن ، تناولى حبوب المسوما » .

ـ « أتناولهـا » .

ـ « حسن ، استمرى فى ذلك » .

ـ « لكن خلال فترات الراحه من تناول الحبوب اجدنى مازلت احبه . سأظل دائم احبه » .

فقالت فانى فى حسم : « حسن ، اذا كان الأمر كذلك ، فلماذا لا تذهبين اليه وتنالينه . سواء كان يرغب ام لا » .

ـ « لكنه غريب الأطوار جدا » .

ـ « وهـذا مبرر كاف لتكونى حاسـمة مع نفسـك » .

ـ « من السهل قول ذلك » .

فقـالت فـانى : « لا تتركيـه .. وخـذى المبـادرة ! .. اجـل تصرف فـورا .. قومى بذلك الآن » .

قالت لينينا : « لا اجرؤ » !

ـ « حسن ، ينبغى عليك أن تتناولى نصف جرام من السوما اولا . سأذهب لآخذ حمامى » .. ومضت ومنشفتها على كتفها .

* * *

دق الجرس . وقفز الهمجى مندفعا ناحية الباب ، فقد كان فى انتظار حضور هلمولتز بفارغ الصبر ليحكى له عن مشاعره تجاه لينينا .

وصاح وهو يفتح الباب : « كنت اظن انك هلمولتز » .

فى مدخل الباب كانت تقف لينينا ترتدى ربا بحريا أبيض من القطن ، وعلى راسها قبعة بيضاء تميل بزاوية رائعة .

وشهق الهمجى « اوه » كما لو ان احدا ضربه بشدة .

كان نصف الجرام كافيا لأن يجعل لينينا تنسى

خوفها . وقالت وهى تبتسم : « هاللو ـ جون »
وعبرته الى داخل الغرفة . أغلق البـاب وتبعها .
جلست لسيبا . وحدث صمت طويل .

وفى النهاية قالت : « أنت لا تبدو سـعيدا جدا لرؤيتى يا جون » ؟

فصاح الهمجى باحسـاس جياش : « لا أبدو سعيدا ؟ » .. ثم ركع فجـأة على ركبتيه امامها ، وأمسك يدها وقبلها وقـال : « انا أحبك اكثر من اى شيء فى الوجود ! » .

ـ « اذن لمـاذا لم تقل لى ذلك من قبل ؟ » .. وفجأة أحاطته بذراعيها . واخذت تقول له : « أيها الأحمـق ! لكم اشـتقت اليك كثيرا ! . يا حبيبى ، يا حبيبى .. وطالمـا كنت انت تشتاق الى ؛ فلماذا لم ... ؟ » .

فى هذه اللحظة تذكر الأحداث فى فيلم « ثلاثة اسـابيع فى هليوكوبتر » . واصيب بفزع ، بفزع شديد .. وحـاول ان يحرر نفســه من ذراعيها .

فابعدت لينينا ذراعيها عنه.ووقفت . وتصور للحظة أنها أدركت ما يشعر به . لكنه سرعان ما اكتشف أنه كان مخطئا .

قالت لينينا وهى تلقى بذراعيها على كتفيه :

ـ « لكم احبك يا عزيزى ! » .

أمسك الهمجى برسغيها ، وابعد يديها من فوق كتفيه ، ودفعها بخشونة بعيدا عنه .

ـ « آه ، انت تؤلمنى ، انت .. آه » . ثم سكتت فجأة . فقد نسيت الألم من فرط فزعها . وعندما فتحت عينيها ، ورأت وجهه ـ كلا .. ، ليس هذا وجهه ، بل كان وجها شاحبا مجنونا ، مجعدا ، مليئا بجنون متهور .

حاولت أن تفهم السبب الذى جعل وجهه يكتسى بهذا الجنون ، لكنها فشلت تماما . **وهمست قائلة** : « ماذا حدث يا جون ؟ » . لم يجب ، لكنه حملق فقط فى وجهها بعينيه المجنونتين .

وكانت يداه اللتان أبعدتا رسغيها ترتعشان ، وتتنفس بعمق واضطراب . وفجأة سمعت اصطكاك أسنانه . وبصوت أقرب الى الصراخ **سألته** : « مادا حدث ؟ » .

وكما لو أنه قد استيقظ على صرختها ، فأمسك بها من كتفيها **واخذ يهزها وهو يصرخ** :

ـ « الضعف ، اسمه المرأة ! » ودفعها بقوة شديدة حتى انها سقطت على الأرض . وصاح وهو يقف بقربها « اذهبي ، اغربي عن بصري والا قتلتك » .

رفعت ليتنا ذراعها فوق وجهها **وقالت** : « كلا ، ارجوك ، كلا ، يا حون » ..

ـ « هيا اسرعي » !

وبعين مرتعبة ، وقد ظل ذراعها مرفوعا ، أخذت تراقب حركته ، ونهضت بصعوبة على قدميها ، واندفعت بسرعة ناحية الحمام وهي مازالت تحمي وجهها .

أخذ الهمجى يذرع الغرفة جيئة وذهابا فى غضب . وهو يردد : « الضعف . الضعف امرأة » .

وراحت لينينا تصغى الى وقع خطواته ، وتتساءل وهى تصغى ، الى متى سيظل يروح جيئة وذهابا على هذا النحو ، وهل يتحتم عليها ان تنتظر حتى يغادر الشقة ، أم من الأسلم أن تترك لجنونه الوقت المعقول حتى يهدأ ، وبعدها تفتح الحمام وتحاول الهرب ، فى تلك اللحظة دق جرس التليفون فى الحجرة .. وسمعت صوت الهمجى يتكلم :

ـ « هالو » .

ـ ....

ـ « أجل » .

ـ ....

ـ « نعم الهمجى هو الذى يتكلم » .

ـ ....

ـ « ماذا ؟ من مريض ؟ بالطبع يهمني » .

ـ .....

ـ « لكن . هل الحاله خطرة ؟ هل حالتها سيئة ؟ سأحضر حالا » .

ـ .....

ـ « لست في حجرتها ؟ الى اين اخذوها » ؟

ـ .....

ـ « أوه ، يا الهي ! ما العنوان » ؟

ـ .....

ـ « ثلاثة بارك لين » ـ أهو كذلك ؟ ثلاثه ؟ شكرا » .

سمعت لينين صوت سماعه التليفون وهي توضع ، ثم خطوات مسرعة . وبدا يعلو بشدة . ثم عم سكون . هل انصرف حقيقه ؟

فتحت الباب بحذر شديد لمسافة ربع بوصه ، ونظرت من خلال الفتحة ، وتشجعت اكثر ، بسبب الهدوء ، واطلت براسها ، واخيرا سللت داخل الحجرة بهدوء ، ووقفت للحظات وقلبها يدق ، تنصنت ، وتنصنت ، ثم اندفعت الى الباب الأمامى ، فتحته ، واسلت من خلاله ، واغلقه بعنف ، واخذت تجرى . ولم تشعر بالأمان الا عندما أصبحت داخل المصعد وهو ينزل بها .

الفصل الثالث عشر

كانت مستشفى بارك لين للموتى عبارة عن برج من الطوب الأصفر اللون يتكون من ستين دورا ، عندما خرج الهمجى من التاكسى الهليوكوبتر ، كان هناك سرب من طائرات دفن الموتى ذات اللون الجنازى تنطلق من على السطح واتجهت ناحية بارك ، تجاه الغرب ، فى طريقها الى محرقة الجثث .. وعند بوابات المصعد أعطاه الموظف الرسمى المعلومات التى طلبها ، وهبط الى الدور السابع عشر ، كان الجناح الذى ترقد فيه ليندا عبارة عن عنبر كبير مشرق يضوء الشمس جدرانه مدهونة باللون الأصفر . ويحتوى على عشرين سريرا ، كلها مشغولة . كانت ليندا تموت فى صحبة .. صحبة كل وسائل الراحة الحديثة . كان الهواء يتجدد بشكل مستمر ، مع الحان مرحة تصدر من السماعات . وعند مؤخرة

كل سرير ، فى مواجهة المحتضر الذى يشعله ، جهاز تلفزيون ، كان يترك مفتوحا مثل صنابير المياه منذ الصباح وحتى آخر الليل .

قالت الممرضة التى قابلت الهمجى عند الباب : « نحن نحاول ان نخلق جوا مريحا تماما هنا .. شىء مشترك بين صادق الدرجة الأولى ، وقصور السينما اذا كنت فهمت ما اعنى ! » .

ـ « أين هى ؟ » .. سأل الهمجى ، دون أن يعير ذلك الشرح المهذب التفاتا .

تضايقت الممرضة وقالت : « أنت فى عجلة » .

فسألها : « هل هناك اى أمل ؟ » .

ـ «تقصد ، فى ألا تموت ؟ » (هز راسه) .. كلا ، بالطبع لا يوجد أمل . عندما يرسل شخص الى هنا ، فليس هناك » .. ولانزعاجها الشديد من مسحة الحزن التى كست وجهه **سألته :** « لم كل

هذا ، مهما حدث ! . ذلك أنها لم تتعود على مثل تلك الأمور من الزوار (لأنه لم يكن يوجد زوار كثيرون بأى حال ، أو أى مبرر لوجودهم) « هل تشكو من أى شيء » !

هز رأسه ، وقال فى صوتٍ منخفض : « أنها أمى » !

تطلعت اليه الممرضة فى فزع ، ثم نحت نظرها بسرعة ، واحمر وجهها جدا من عدم الارتياح .

ــ « خذينى اليها » .. قال ذلك وهو يبذل جهدا لكى يتكلم بشكل عادى .

قادته إلى العنبر ، ومازال وجهها محمرا جدا . كانت ليندا نائمة فى آخر سرير من صف طويل . عيناها مغلقتان . واكتسى وجهها الشاحب المتورم بمسحة من الغباء والسعادة البلهاء .

انصرفت الممرضة ، وجلس الهمجى بجوار السرير .

همس اليها وهو يمسك يدها : « ليندا » !

وعند سماع اسمها التفتت . وانفتحت عيناها، واستقرتا عليه ، كما لو انها تعرفت عليـه ، ضغطت على يده ، وارتسمت ، وتحركت شفتاها ، ثم فجـأة تماما تدلت راسـها الى الأمـام . نامت . جلس يرقبها ، يتذكر والدموع فى عينيه حياتهما فى معسكر العزل ، خاصـة كل تلك الحكايات التى كانت ترويها له عن المكان الآخر ، وجمال ذلك المكان الآخر ، وتلك الأشـياء من مثل السـماء والخير والحب . كانت ما تزال منتعشة فى ذهنه ، ولم تفسد ، باتصـاله بحيبة الأمل الحقيقيـة التى لقيها فى لندن ، ومع هؤلاء الرجال والنساء المتحضرين .

قطعت افكاره بوصـول مجموعة من الأطفـال الزائرين المزعجين ، الذين احضرتهم رئيسة الممرضات لمشاهدة الأشخاص الذين يموتون ، كجزء من تدريبهم على التكيف ، ليعودوهم على فكرة الموت . والناس الذين يموتون . فأبعدهم عن سرير ليندا بغضب ،

لكنه عندما جلس ثانيـة كانت مشاعره وافكاره قد تغيرت . وبدلا من لحظات طفولته الرقيقة ، عندما كانت ليندا بمثابة الأم الحنون المحبة ، لم يعد يتذكر الآن سـوى المشـاهد السـيئة فى حياتهمـا ، وهى وحدها أثناء نومها .. بشـكلها القبيح ، بعد شرب كمية كبيرة من الميسكال .

تقلبت ليندا ، واستيقظت وابتسمت ، دون ان تعى أين هى ، وهمسـت بصوت خفيض : « بوب ! » .

ـ « لكن ، يا ليندا » تكلم الهمجى فى اضطراب: « ألا تعرفيننى ؟ » .. وضغط على يدها ثانيـة ، « ألا تعرفيننى ؟ » .

واحس بضعف نبض يدها . وانهمرت الدموع من عينيه . انحنى فوقها وقبلها .

تحركت شفتاها وهمسـت ثانية باسم « بوب » وكان ذلك بمثابة ضربة وجهت الى وجهـه . وفجأة امتلأ بالغضب لتحطم آماله ومثالياته مرتين فى وقت قصير ، مرة على يد لينينا والثانية على يد امه .

فصرخ فيها : « لكنى جون ! انا جون ! » وفى ثورة غضبه ويأسه وجد نفسه يمسكها من كتفيها ويهزها .

انفتحت عيناها ثانية . رأته ، تعرفت عليه . . **وهمست قائلة :** « جون ! » . وتبدت فى عينها نظرة مرتعبة بسبب ما يكتسى وجهه من غضب . ثم انعقر فوها . وتوقفت انفاسها . ماتت !

حملق الهمجى فيها للحظة فى صمت متجمد ، ثم سقط على ركبتيه بجوار سريرها ، وغطى وجهه بيديه ، وبكى كما لو كان قلبه قد انفطر .

ووقفت الممرضة وسط العنبر ، لا تعرف مدا تفعل . اما الأطفال الروار ، فقد اخذوا يحملقون بعيون متسعة فى ذلك المشهد التعس ، أينبغى عليها أن تكلمه ؟ هل تحاول أن تعيده الى صوابه حتى يتصرف بشكل مناسب ؟ وتذكره اين هو ؟ واى ضرر يمكن ان يسببه هؤلاء الأطفال الأبرياء ؟ فلقد أفسد كل ما تعلموه عن التكيف مع الموت ، سلوكه المفزر

هذا .. كما لو ان الموت شيء مزعج ، حتى يهتم به الناس بهـذا الشكل المبالغ ، كما حدث .

تقدمت ناحيته ، ولمسته من كتفه . وقـالت في صوت منخفض غاضب : « الا يمكنك السيطرة على نفسك ؟ » وعندما تطلعت حولها وجدت العديد من الأطفال يتجهون ناحية السرير ، فأصبح من الواجب ان تفعل شـيئا لتصرف انتباههم بعيدا عن الهمجى وبكائه .

فسألت بصوت مرتفع مرح : « والآن ، من فيكم يريد قطعة شيكولاتة ؟ » .. فتصايح الأطفال وهم من فصيلة : بوكانوفسكى « انـا » فى صوت واحد .. وسى الأطفال الهمجى واحزانه .

ـ « اوه » يا الهى ، يا الهى ، يا الهى ... » . ظل الهمجى يردد ذلك لنفسه . لم يكن ينطق الا بكلمة واحدة فى غمرة الحزن والاسى الذى سيطر عى ذهنه. « يا الهى ! يا الهى ! » كان يهمس بها فى صـوت مرتفع .

ـ « ما هذا الذى يقوله ؟ » سمع ذلك من خلال

صوت قريب جدا ومميز ، رغم الموسيقى الحلوة المنبعثة من السماعات .

التفت الهمجى حوله بحدة . فوجد خمسة توائم يرتدون الملابس الكاكى ، وكل منهم يمسك ما تبقى من الشيكولاتة فى يده اليمنى ، ووجوههم المتشابهة ملطخة بالشيكولاتة ، يقفون صفا ويحملقون فيه .

عندما نظر اليهم كشروا جميعهم . واشار واحد منهم بقطعة الشكولاتة .

وسأل : « هل ماتت » ؟

وحملق الهمجى فيهم للحظة ، فى صمت . ثم فى صمت وقف على قدميه . ومشى فى هدوء ناحية الباب .

ـ « هل ماتت ؟ » اعاد عليه الطفل السؤال وهو يتقافز متجها ناحيته ، وكله فضول .

ونظر اليه الهمجى ، ودون أن ينطق دفعه بعيدا عنه . فوقع الطفل على الأرض ، وبدا يعوى على الفور . ولم يلتفت الهمجى حوله أبدا .

الفصل الرابع عشر

كان طاقم العاملين بمستشفى بارك لين للموتى، يتكون من مائة واثنين وستين من فصيلة دلتا ينقسمون الى فرقتين من مرتبة بوكانوفسكى ، اربعة وثمانون فتاة من ذوات الشعر الأحمر ، وثمانية وسبعون رجلا متشابهين من ذوى الشعر الأسود .. و فى الساعة السادسة ، عند انتهاء عملهم اليومى ، تلتقى المجموعتان فى الصالة الأمامية للمستشفى ، حيث يقوم مسئول كبير بتوزيع حصصهم من السوما .

خرج الهمجى من المصعد ومشى وسطهم ، لكن ذهنه كان فى مجال آخر .. مع الموت ، والحزن والأسى ، ودون ان يرى ماذا فعل ، بدا يشق طريقه باندفاع خلال هذا الجمع .

ـ « من أنت حتى تدفعنا ؟ الى أين تظن نفسك ذاهبا » ؟

ولم يصله من خلال الحناجر الزاعقة والمنخفضة لهذا الجمع الا صوتان ، يتكرران بلا نهاية كأنه يقف بين مرآتين ، صدرا عن وجهين أحدهما ذو شعر أحمر والآخر ذو شعر أسود ، ثم التفتا اليه في غضب . وجعلته كلماتهما التي كانت تصدمه بحدة في ضلوعه ، أكثر مما تؤثر فيه مرافقتهما ، يفيق الى وعيه . وأصبح أكثر ادراكا لعالم الواقع ، ونظر حوله فرأى عددا لا يحصى من المخلوقات المتشابهة . يتفون حوله متشابهون .. متشابهون . لقد زمجر الأطفال المتشابهون ، عندما رأوا ليدا ميتة . أما الآن ، فهناك كم أكبر من المخلوقات الكبيرة ، افسدوا عليه حزنه وأساه . توقف وأخذ يحملق متخيلا ، في تلك المجموعة التي ترتدي الكاكي التي في الوسط ، وأصبح أطول منها بمقدار رأس حيث وقف .. « ـ للناس الطيبين الموجودين هنا ! » .. كانت كلمات الأغنية تسخر منه .. « كم هو جميل

الجنس البشرى ! عالم رائع جديد ... » . ثم صاح صوت عال : « توزيع السوما ! هيا ، اسرعوا الى هنا ، بنظام ، ارجوكم » .

فتح باب ، وجىء بمنضدة وكرسى الى مقدمة الصالة . وكان الصوت لشاب يافع من فصيلة الفا ، الذى دخل يحمل خزانة حديدية . وسرت همهمة رضا من الجموع المتشابهة المنتظرة على شوق . نسوا كل ما يتعلق بالهمجى . حيث كان انتباههم مركزا الآن على الخزانة الحديدية السوداء ، التى وضعها الرجل على المنضدة وبدا يفتحها فى تلك اللحظة ، ورفع الغطاء .

ـ « هه ! هه ! » .. وهتف الستمائة والاثنان والستون صوتا دفعة واحدة فى ابتهاج !

واخرج الرجل عددا من علب الحبوب . وصاح آمرا : « والآن ، تقدموا الى الأمام من فضلكم . كل فى دوره ولا داعى للتزاحم » .

وتقدم الوائم ، كل فى دوره تزاحم . شابان أولا ثم فتاة ، ثم فتى وبعده ثلاث فتيات ، ثم ...

وقف الهمجي يشاهد ما يجرى . « عالم رائع جديد ، أوه عالم رائع .. » وبدأت كلمات الأغنيه تأخذ ايقاعا متغيرا فى ذهنه . لقد سخرت الكلمات منه أثناء حزنه وأساه . والآن ، وفجأة تدعوه الى الفعل . « أوه . أيها العالم الرائع الجديد ! » . كن ميراندا يعلن عن امكانية الحب وحتى امكانية تغيير الحياة التى تشبه حلما بشعا المحيطة به الى شيء راق نبيل . « أوه أيها العالم الرائع الجديد » . كان تحديا ، كان أمرا .

ـ « لا داعى للتزاحم ، الآن » .. صاح المسئول بغضب . واقفل الخزانة بعنف : « سوف أوقف التوزيع ، الا اذا تصرفتم بشكل جيد » .

غمغم أفراد الدلتا ، وتدافعوا قليلا ثم ثبتوا فى اماكنهم .. فقد كان لكلماته تأثير فعال . فعدم الحصول على السوما ـ مسألة مرعبة ! .. **وقال الرجل وهو يعيد فتح الخزانة :**

ـ « هذا افضل » .

لقد كانت ليندا عبدة .. ولقد ماتت ليندا . وينبغى على الآخرين أن يعيشوا فى حرية ، والعالم يجب أن يكون جميلا . وفجأة انضح للهمجى ما ينبغى عليه عمله .

وقال المسئول : « الذى بعده » .

فتقدمت فتاة ترتدى الكاكى الى الأمام .

. فصاح الهمجى بصوت عال رنان : « توقفى ! توقفى » !

وشق طريقه الى المنصة ، وحملقت فيه جموع الدلتا بدهشة .

فقال المسئول وهو يكتم غيظه : « اوه فورد ! انه الهمجى » ! وشعر بالخوف .

وصاح الهمجى بجدية : « اصغوا الى ، ارجوكم ، أعيرونى أسماعكم .. ولما لم يكن قد تكلم الى جمهور أبدا من قبل ، فقد وجد المسألة غاية فى الصعوبة ، لكى يعبر عما كان يريد أن يقوله :

« لا تأخذوا ذلك الشيء اللعين . انه سم ، انه سم » .

فقال المسئول بابتسامة مترددة : « لو سمحت أيها السيد الهمجي ، ماذا يهمك لو تركتني » ...

ـ « انه سم للروح ، تماما مثلما هو سم للجسد » .

ـ « لا بأس ، لكن دعني أقم بعملية التوريع ، أرجوك ؟ لا داعي أيها الزميل طبب » .. وبحذر من يحرض حيوان على العض ، ربت على ذراع الهمجي :

« أرجو أن تدعني » .

ـ **فصاح الهمجي** :

ـ « لا .. أبدا » .

ـ « لكن ، اسمع أيها الرجل » .

ـ « ألق بعيدا بهذا السم الأبيض » .

أثارت كلمات مثل « ألق به بعيدا » انتباه

الدلما الأعنياء ، وانتبهوا الى ما يجرى . وسرت همهمة غاضبة من الجميع .

ـ « لقد جئت من اجل تحريركم » ثم التفت الى التوائم **وقال** : « لقد جئت ... » .

لم يستمع المسئول اكثر من ذلك . فانسحب من الصالة وهو يبحث عن رقم تليفون فى مذكرة تليفوناته .

* * *

قال برنارد : « ليس موجودا فى حجرته .. او حجرتى . او فى المركز ، او الكلية . الى اين يمكن ان يكون قد ذهب » ؟

هر هلمولتز اكتافه .. فلقد عادا من عملهما وهما يتوقعان ان يجدا الهمجى بنظرهما فى مكان او آخر ، من الأمكنة التى تعودوا الالتقاء فيها ؛ لكن لم يكن له اثر . وقد افسد ذلك تخطيطهم ، حيث كانوا قد قرروا الذهاب الى « نيارنز » فى طائرة

هلمولتز « الأسود » ذات الأربعة مقاعد . ومن الممكن ان يتأخروا على العشاء اذا لم يحضر الآن .

قال هلمولتز : « سنعطيه فرصة خمس دقائق أخرى . واذا لم يحضر خلالها فسوف ... » .

قطع كلامه رنين جرس التليفون . التقط السماعة . « آلو ، من المتكلم » وبعد برهة طويلة من الاستماع صاح مندهشا :

ـ « أوه فورد ! . سأحضر فورا » .

فسأله برنارد : « ماذا حدث ؟ » .

ـ « زميل أعرفه يعمل في مستشفى بارك لين يقول ان الهمجي هناك . ويبدو انه قد اصيب بالجنون ، على أية حال ، المسألة عاجلة ، هل تأتى معى ؟ » .

واسرع الاثنان عبر الردهة تجاه المصاعد .

ـ « لكن ، اترغبون في ان تكونوا عبيدا ؟ » كان الهمجي يقول ذلك عندما دخلا المستشفى .. وجهه

أحمر ، وعيناه تبرقان من الانفعال والغضب . ودفعه غباؤهم الحيواني للتمادي في اهانتهم رغم أنه جاء لانقاذهم . وقال : « اتودون أن تصبحوا مثل الأطفال ؟ أجل ، مثل الأطفال . تولولون وتلعبون » .

ولم تستطع الاهانات ان تؤثر فيهم لفرط غبائهم ، فحملقوا فيه بتعبير أبله واستياء غبي تبدى من خلال عيونهم . وصاح : « أجل : تلعبون ! » .

وكما لو أن مشاعر الحزن والندم ، والشفقة والواجب ، قد نسيت في هذه اللحظة وذابت وتحولت الى نوع من الكراهية اللا ارادية تجاه أولئك الكائنات الأقل درجة من البهائم . فقال : « الا تريدون ان تصبحوا احرارا ورجالا ؟ . الا تريدون ؟ » لكنه لم يتلق اجابة لسؤاله . « حسن جدا ، اذن سأعلمكم ، سأجعلكم أحرارا ، سواء رغبتهم أم لا » .. واندفع وفتح نافذة وألقى نظرة على فناء المستشفى الداخلي ، وبدأ في القاء حبوب السوما بيديه .

وللحظة انتاب مجموعة الكاكى الصمت ، وتجمدوا من الدهشة والرعب لمرأى تلك الجريمة الفظيعة .

وهمس برنارد ، وهو يحملق بعينين مذعورتين للغاية : « لقد جن . سوف يقتلونه . سوف .. » وفجأة ندت صيحة عالية من الجمع ، تلاها حركة متدافعة مهددة متجهة نحو الهمجى . **فقال برنارد وهو يحول نظره بعيدا** : « ساعد يا فورد ! » .

ـ « ان فورد لا يساعد الا من يساعدون انفسهم » قال هلمولتز واتسون ذلك وهو يضحك ضحكة مرحة حقيقية ، وهو يشق طريقه وسط الجمع .

« أحرار ، أحرار ! » واصل الهمجى صياحه ، وهو يلقى حبوب السوما فى الفناء بيد ، بينما كان يضرب بقبضة يده الأخرى الوجوه المتشابهة التى تهاجمه .. « أحرار » .. وفجأة وجد هلمولتز الى جانبه .. « الصديق العزيز هلمولتز ! » وكان

يضرب هو الآخر .. « رجال فى النهايه ! » ومن حين لحين يلقى بالبسموم بيده من خلال النافذة المفتوحه وهو يصيح : « اجل ، رجال ! رجال ! رجال ! » ولم يعد هناك شيء من الحبوب . ورفع الخزانة الى أعلى ليتأكدوا انها فارغة : **وصاح** : « انتم الآن احرار ! » .

واحتشدت جموع الدلتا تصرخ فى غضب :

قال برنارد عند قرب نهاية المعركة وهو متردد : « انهم يستحقونها » ثم اندفع الى الامام بالحاح مفاجيء للمساعدة ، ثم قرر الا يفعل ، وتوقف ، وعندما احس بالخجل تقدم للأمام ثانية ، ثم قرر ثانية الا يفعل ، ووقف هناك خجلا من تردده ، وهو يفكر فى انهم ربما يقتلونهما لو انه لم يتقدم لنجدتهما ، وربما يقتل هو كذلك لو فعل ذلك .. وبينما هو فى هذه الحالة (وشكرا لفورد !) اندفع رجال البوليس بأقنعتهم الواقية من الغاز ، التى تشبه وجوه الخنازير .

اندفع برنارد لملاقاتهم ، ولوح بذراعيه فى حركة تمثيليـــه ، وهو يصـــيح : « النجدة ! » لعدة مرات وبصوت اعلى واعلى ، ليقنع نفســه بأنه قام بالمساعدة . « النجدة ! النجدة ! النجدة ! » .

دفعه رجال البوليس بعيدا عن طريقهم وشرعوا فى عملهم . واخذ ثلاثة منهم يرشون سحابات كثيفة من بخار السوما فى الهواء من اسطوانات مثبتـــة على اكتافهم ، وانشغل اثنان منهم حول جهـــاز الموسيقى الصناعيه المتنقل . فى حين كان هنـــاك اربعة آخرون يحملون مسدســـات مائية محشـــوة بمادة صناعيـــه فعاله ، يشقون طريقهم بين الجموع ، وبداوا فى عملهم مبـــاشرة بالرش دفعـــه دفعـــه ، لتهدئـــه شراســـه المتقاتلين .

وصرخ برنارد : « بسرعة ، بسرعة ! سيقتلان ان لم تسرعوا .. اوه ! » . وزهقـــا من صراخه ؛ سدد احد رجال البوليس نحوه دفعة من مسدســـه المـــائى . ووقف برنارد للحظة او لحظتين على ساقيه المرتعشـــتين ، ثم سقط مكوما على الأرض .

فجأة انبعث من جهاز الموسيقى الصغير صوت ، صوت متكرر ومريح .. كان شريط الصوت يعاد أوتوماتيكيا على نفس المقطع الثاني في التحكم في الجماهير (القوة المعدنية) ومن أعمق القلب مباشرة قال الصوت الذى ليس له مثيل : « أصدقائي ، أصدقائي » . كان بالصوت رنة أسى . لدرجة أن رجال البوليس أنفسهم قد تأثروا . وامتلأت عيونهم خلف الأقنعة بالدموع .

ـ « ما معنى هذا ؟ إنكم جميعا سعداء وطيبون مع بعضكم ؟ سعداء وطيبون » .. وكرر الصوت ذلك وهدىء . ثم تحول همس قادم من عند « أوه ، كم أود أن تكونوا سعداء فعلا » .. ثم أخذ الصوت حادا مرة ثانية وقال : « كم أود فعلا أن تكونوا طيبين ! أرجوكم ، أرجوكم . كونوا طيبين .. » .

بعد مرور دقيقتين أحدث الصوت وبخار السوما تأثيرهما .. ومن خلال الدموع كانت جموع الدلتا

تقبل بعضها ويحتضن بعضها البعض فى نفس الوقت . حتى هلمولتز والهمجى كانا يبكيان . وأحضر مدد جديد من علب اقراص السوما من مخازن المستشفى، وتم توزيعها بسرعة ، وعلى صوت الوداع الرقيق من قبل الصوت بدأ التوائم فى مغادرة المكان وهم يبكون وكان قلوبهم قد انفطرت . « وداعا ايها الأصدقاء الأعزاء ، وليرعكم فورد ! وداعا ! يا أعزائى ، يا اعزائى » ...

عندما انصرف آخر افراد الدلتا ، اوقف رجال البوليس التيار . وتوقف الصوت السماوى .

ـ « سلما نفسيكما فى هدوء ، لو سمحتما ؟ والا سنضطر الى تويمكما ؟ ضلت منهما حاويش ذلك وهو يشير الى مسدسه المائى .

ـ « أوه ، سنسلم انفسنا فى هدوء » .. اجاب الهمجى ، وهو يمسح شفته المقطوعه ، وعضه المجروح، وعضه فى يده اليسرى . اما « هلمولتز » الذى كان يضع منديله على انفه التارف ، فقد هز رأسه موافقا .

وعندما افـاق برنارد ، واستطاع ان يقف على قدميه ، انتهز هذه اللحظة ؛ فتحرك بهدوء على قدر ما يستطيع تجـاه الباب .

ـ « هيه ، انت هناك ! » نادى عليه الجاويش. وعلى الفور اسرع ناحيته رجل بوليس يرتدى قناعا وامسك به من كتفه .

التفت برنارد بتعبير اندهاش البرىء . اهرب؟ لم يخطر بباله مثل هـذا الأمر . **وقـال للجاويش** : « مـاذا تريـد منى بحق الأرض . انـا لا اتصـور لمـاذا ؟ » .

ـ « انت صديق للمقبوض عليهمـا ، أليس كذلك ؟ » .

ـ « اجـل » .. قـال برنـارد ، ثم تردد . وحقيقة لم يستطع أن ينكر ذلك ، ثم **سـأل** : « لمـاذا يقبض على ؟ » .

قـال الجاويش : « هيا ، اذن » واصطحبـه الى الباب حيث كانت عربة البوليس فى الانتظار

الفصل الخامس عشر

كانت الحجرة التى استدعوا اليها هى مكتبه الحاكم العام ، وقال الخادم وهو من فصيلة الجاما : « سيصل صاحب السعادة الفوردية خلال لحظة » ثم تركهم وحدهم .

ضحك هلمولتز بصوت عال ، **وقال** : « ان المسألة اشبه ما تكون بدعوة لشرب القهوة الصناعية وليست بمحاكمة » . وجلس فى اكثر الكراسى راحة .

ثم اضاف قائلا : « ابتهج يا برنارد » عندما راى وجه صديقه ، الشاحب التعس . لكن برنارد لم يرد ان يبتهج . ودون ان يجيب ، وحتى دون ان يكلف نفسه بالنظر الى هلمولتز ، ذهب ليجلس على

اكثر الكراسي راحة فى الحجرة ، اختاره بعناية على امل ان يريح عنه غضب السلطات العليا .

اما الهمجى فكان فى تلك الاثناء يتجول فى الحجرة بقلق ، ويتطلع بعض من الاهتمام الى الكتب الموجودة على الارفف . وكذلك الى اشرطة التسجيل وماكينات قراءة الافلام وهى مرصوصة على منضدة أسفل النافذة كان يوجد مجلد ضخم مغلف بجلد صناعى أسود ، ومختوم بحرفين مذهبين « ت.اس » .. تناول الكتاب وفتحه . « حياتى واعمالى . تأليف فورد » كان الكتاب قد نشر فى ديترويت بمعرفة جمعية الدعاية لمعرفة الفورد » . واخذ يقلب الصفحات دون اهتمام ، يقرأ جملة هنا ، وفقرة من هناك ، وعندما قرر ان الكتاب لا يهمه . فتح الباب ودخل الحاكم العام لأوروبا الغربية ، وسار فى هدوء داخل الحجرة .

صافح مصطفى موند ثلاثتهم ، لكنه وجه الكلام بصفة خاصة الى الهمجى وكأنه يخاطب نفسه : وهكذا فأنت لا تحب المدنية كثيرا يا سيد همجى ! » .

تنظر اليه الهمجى . كان قد اعد نفسه ليكذب ويجادل ؛ ويبقى صامتا ، لكنه وقد تشجع عندما راى وجه الحاكم الذى يتسم بالذكاء ، ففرر ان يقول الحقيقة وبصراحة تامة .

ـ « اجل » .. وهز راسه .

وتبدى الفزع والرعب على برنارد . ماذا سيظن فيه الحاكم ؟ ان يصنف كصديق لرجل قال انه لا يحب المدنية .. وقالها بصراحة ـ وامام الحاكم بصفة خاصة ـ فذلك امر مرعب .

ثم سرع يتكلم وقال : « لكن يا جون » .. لكن نظرة من مصطفى موند كانت كفيلة بان تلزمه صمتا مرعبا .

وواصل الهمجى كلامه معترفا : « بالطبع ، هناك اشياء رائعة جدا . فكل تلك الموسيقى المنتشرة فى الجو ، على سبيل المثال ...

« فاحيانا يرن فى اذنى عزف آلاف الآلات

الموسيقية ، واصوات بشرية احيان اخرى » (وهذا الكلام من مسرحية العاصفة لشكسبير) .

واشرق وجه الهمجي بسعادة مفاجئة وسأل : « هل قرأت ذلك الكتاب ايضا ؟ (يقصد مسرحية شكسبير) .. اعتقد انه لا يوجد احد يعرف شيئا عن ذلك الكتاب هنا ، في انجلترا ؟ » .

ـ « لا احد تقريبا . وانا احد القلائل جدا . انه ممنوع ، كما ترى . لكن طالما انني اسن القوانين بامكاني ايضا ان الغيها ، دون ان أعاقب يا سيد ماركس » . والتفت الى برنارد . واضاف : « الأمر الذي اخشى الا يكون في امكانك القيام به » .

وغرق برنارد في حالة من اليأس القاتل .

ـ « لكن لماذا هو ممنوع ؟ » سأل الهمجي ، وهو في غمرة ابتهاجه لمقابلة رجل قرأ شكسبير ؛ لذا فقد نسي للحظة كل شيء .

اشراب الحاكم بكتفيه وقال : « لأنه قديم .

هذا هو السبب الرئيسى . ولا فائدة تعود علينا هنا ، من الأشياء القديمة » .

ـ « حتى ولو كانت جميلة ؟ » .

ـ « وبالذات عندما تكون جميلة . فالجمال جذاب ، ونحن لا نريد الناس أن تنجذب للأشياء القديمة . نحن نريدهم أن يحبوا الجديد » .

ـ « لكن الأشياء الجديدة تتسم بالغباء والفظاعة . فتلك الأفلام ، لايوجد بها شيء سوى طائرات الهليوكوبتر ، وأناس يقبلون بعضهم طول الوقت » ، واكتسى وجهه بنوع من التقزز . ولم يجد سوى كلمات عطيل لتكون كافية للتعبير عن احتقاره وكراهيته فقال : « ماعز ، وقرود ! » .

وقال الحاكم :

ـ « انها حيوانات لطيفة ، بأى حال من الأحوال » .

ـ « لماذا لا تدعهم يشاهدون « مسرحية عطيل » بدلا من ذلك » ؟

ـ « قلت لك ، انه قديمـة ، بالاضافة الى انهم لن يفهموها » .

أجـل ، كان ذلك صحيحـا ، وتذكر كيف كان هاموتر يضحك عندما قرأ عليه مسرحيته « روميو وجوليت » . وقال بعد فترة صمت : « حسن اذن . فليشاهدوا شيئا جديدا على غرار عطيل ، وبالتالى يمكنهم فهمه » .

وقطع هاموتر فترة الصمت الطويلة وقـال : « ذلك ما كنا نريد ان يكتبه » .

فقال الحـاكم : « وهـذا ما لن يكتبـه ابدا . لانه اذا كان على غرار عطيل ، فلن يفهمه احدا ، مهما كان جديـدا . لكن اذا كان هنـاك شيء جديـد ، فلا يمكن بأى حال من الأحوال ان يكون مثل عطيل » .

ـ « ولم لا » لا

ـ « أجل ، ولم لا ؟ » .. ردد هموتر ذلك وقد نسي تماما الواقع السيء للموقف الذى هم فيه . فيما عدا برنارد الذى كان شاحبا من الخوف وقلقا

على المستقبل ، وذكرهما بذلك . لكنهما لم يلقيا بالا له .

ــ « ولم لا » ؟

ــ « لأن عالمنا ليس عالم عطيل . لا نستطيع أن تقدم المآسي طالما لا يوجد شقاء .. الناس الآن سعداء . يحصلون على ما يرغبون ، ولا يرغبون في شيء لا يستطيعون الحصول عليه . فهم منعمون . آمنون . لا يمرضون أبدا . ولا يهابون الموت ؛ لا يعرفون شيئا عن العواطف ولا الشيخوخة القديمة . لا يقلقون على الأمهات أو الآباء . ليس لديهم زوجات أو أزواج ، ولا أطفال ، ولا يحبون أن تكون لديهم مشاعر قوية تجاه ذلك . لقد تم تكييفهم حتى لا يستطيعوا من الناحية العملية التصرف الا بما تم عليه تكييفهم . ولو حدث وسارت الأمور على غير ما يرام ، فهناك حبوب السوما . التي قمت انت بالقائها من النافذة باسم الحرية ، يا سيد همجي » .
ثم ضحك وقال : « الحرية ! .. هل كنت تتوقع ان الدلتا يعرفون ما هي الحرية ! وتتوقع منهم الآن

ان يفهموا عطيل ؟ كيف سنتى لك ان تكون لديك مثل هذه الفكرة » !

ظل الهمجى صامتا لفترة .. « على ايه حال » ، واستمر الهمجى مصرا على الجدل ، « فعطيل مسرحية جيدة . عطيل افضل كثيرا من تلك الأفلام » .

فوافقه الحاكم : « بالطبع عطيل عمل جيد .. لكن هذا هو الثمن الذى يتحتم علينا ان ندفعه من اجل الاستقرار .. عليك ان تختار بين السعادة وبين ما يسميه الناس الفن الراقى . لقد ضحينا بالفن الراقى . ولدينا بدلا منها افلام العشق والغرام » .

ـ « لكنها لا تعنى اى شىء » .

ـ « انها لا تعنى اكثر من نفسها . تعنى الكثير من المشاعر المبهجة للمشاهدين » .

ـ « لكنها .. لكنها .. شىء يرويه ابله » .

ضحك الحاكم وقال : « انت بذلك تجرح مشاعر صديقك السيد واتسون ، فهو احد مهندسينا المتميزين فى العواطف » .

فقال هلمولتز فى يأس : « لكنه على صواب . ذلك ان الكتابة حيث لا يوجد شيء يمكن ان يقال . مجرد عبث » .

ـ « بالضبط . لكن الكتابة من ذلك النوع تتطلب مهارة فائقة .. ان تصنع شيئا ، وبصفة خاصة من لا شيء » .

هز الهمجى رأسه وقــال : « تبدو المســألة تها فظيعة بالنسـبة لى » .

ـ « هى كذلك بالفعل . فالسعادة ليست مثيرة مثل البؤس ، السعادة ليست بالشيء الضخم .

فقــال الهمجى بعد فترة صمت : « لا أعتقــد ذلك . لكن هل هناك ضرورة لأن تكون بمثل ذلك السوء ، الذى عليه حــال أولئك التوائم ؟ وأصابته رعــدة عندما تذكر منظر كل أولئك المتشابهين وهم يقفون صفوفا طويلة ، الأقزام القبيحة ، وهم ينتظرون توزيع الســوما ، ومنظرهم وهم يرمجرون حول سرير ليندا ـ الميتة ، وهم يهاجمونه جميعــا من خــلال

وجه واحد يتكرر بلا نهاية . ونظر الى السمـــة التى فى يده وارتجف وقـــال : « شىء فظيع » !

ــ « لكنهم مفيدون جدا . ارى انك لا تحب مجموعاتنا من فصيلة بوكانوفسكى ، لكنى أؤكد لك انهم الأساس الذى تقوم عليـــه كل شىء آخر . انهم يمدوننا بالاستقرار الذى تعتمد عليـــه كل النظـــام الاجتماعى » .

قـــال الهمجى : « لقد كنت اتســـاءل ، لمـاذا كل هذا الكم لديكم ، فى حين اننى اجد انه بامكانكم ان تنتجوا ما تريدون من تلك الزجاجـــات . لمـــاذا لا تجعلون الجميع من فصيلة الفا ــ مزدوج ــ موجب، التى أنت منها ؟

ضحك مصطفى موند وأجاب : « لأننا لا نريد ان تقطع رقاب . نحن نؤمن بالسعادة والاستقرار . ان مجتمع الألفا لايمكن ان يصبح غير مستقر او بائس . فالواحد من فصيلة الألفـــا يمكن ان يجن اذا تحتم عليه ان يقوم بعمل واحد من فصيـــلة الابسيلون .

يجن . او يبدأ في تحطيم الأشياء . ولا يستطيع ان يتوقع منه ، أن يقدم التضحيات المطلوبة منه ، في نفس الوقت الذي لا يضحي الآخرون من اجله . فهو مكيف للحياة التي ينبغي عليه أن يعيشها . لا يستطيع أن يفعل غير ذلك » .

تنهد الهمجي ..

وقال مصطفى موند : « إن التوزيع السحابي النموذجي ، مثل جبل الثلج العائم في الماء .. ثمانية على تسعة منه تحت الماء ، وواحد على تسعة فوق الماء .

ـ « وهل هم سعداء تحت سطح الماء » ؟

ـ « بل أسعد ممن هم فوق سطح الماء . أسعد من أصدقائك الموجودين هنا ، على سبيل المثال » . وأشار اليهما .

ـ « بالرغم من ذلك العمل الفظيع » ؟

ـ « الفظيع ؟ انهم لا يرونه كذلك . بل على

العكس ، بحبوبه . انه عمل بسيط ، فى بساطة لعب الأطفال . ليس به اى ضغط على الذهن او العضلات. سبع ساعات ونصف من العمل اللطيف ، دون جهد بدنى زائد ، بعد ذلك يتم توزيع السوما ، والألعاب ووسائل تسلية اخرى متوفرة لهم ، ماذا يطلب الانسان اكثر من ذلك ؟ حقيقة » . ثم اضاف : « ربما نطالبون بتقليل ساعات العمل ، لكن هل سيكونون اكثر سعادة لذلك ؟ كلا . ولقد نفذنا التجربة منذ قرن ونصف مضى ، فى ايرلندا كلها ، وقام العمال لمدة اربع ساعات يوميا . فماذا كانت النتيجة ؟ عدم الارتياح ، وتعاطى كميات كبيرة من السوما . ومكتب الاختراعات ملىء بالخطط للحفاظ على تطور العمل . آلاف الخطط » .

وباعد مصطفى موند ما بين ذراعيه ليعطى فكرة عن اكوام الخطط . « لكن لماذا لا نستخدمها ؟ . من اجل العاملين . لأنه من الظلم أن نتيح لهم الكثير من اوقات الفراغ . نفس الشىء بالنسبة للزراعة . فامكاننا انتاج ما يكفى لاطعام الجميع من الغذاء

الصناعى ، اذا اردنا ذلك . لكننا لا نريد . فنحن نفضل ان يكون ثلث السكان يعملون فى الأرض . كل ذلك من اجل خاطرهم . لأن الحصول على الغذاء من الأرض يستغرق وقتا طويلا اكثر من استخراجه من المصانع . بالاضافة الى الاستقرار المتوفر لدينا ، ولابد ان نضعه فى الاعتبار . نحن لا نريد التغيير . فكل تغيير هو تهديد للاستقرار . وهذا سبب آخر ، لحرصنا الشديد عند استعمال مخترعات جديدة . كل اكتشاف علمى محض ، من الممكن ان يؤدى الى ثورة . حتى العلم لابد ان يعامل أحيانا على انه عدو محتمل . نعم ، حتى العلم ! » .

ـ « ماذا ؟ » تساءل هلمولتز فى دهشة واكمل : « لكننا نعلم الناس بأن العلم المجرد هو كل شىء . حتى من خلال التعلم أثناء النوم ! » .

فاضاف بارنارد : « ثلاث مرات فى الأسبوع ما بين سن السابعة والثالثة عشرة » .

ـ « وكــل تلك الدعـــابة التى تقوم بهـا فى الكلية .. » .

فسأل مصطفى موند : « نعم . لكن أى نوع من العلم ؟ .. انت لم تتلق تدريبا علميـا ؛ لذا لا يمكنك ان تحكم . لقد كنت عالمـا متميزا على أيامى . متميز جدا .. متميز بما فيه الكفاية لانتباه ان علمنـا ما هو الا مجرد كتاب فى فن الطبخ ، تدعمه نظرية رسمية للطبخ ولا يسمح لأحد بالسـؤال . وقائمـة بالوصفات لايمكن اضافة أى شيء عليها ، الا باذن خاص من كبير الطهاة . انا الآن كبير الطهاة ، لكنى كنت ذات يوم صبيا فى المطبخ ، له ذوق فى ابتداع الأشياء ، وبدأت اطبخ صنفا خاصا بى ، طبيخ غير رسمى ، طبيخ غير قانونى . نوع من العلم الحقيقى ، حقيقة » .. ثم كف عن الكلام .

ـ « ومـــاذا حـــدث ؟ » .. ســــأل هيمولتز واتسون .

فتنهد الحـــاكم .

ـ « شيء اشبه بما سوف يحدث لكم . كتب على وشك أن يبعثوا بي الى احدى الجزر » .

فزع واقفا وجرى عبر الحجرة ، ووقف يلوح بذراعيه امام الحاكم ويقول : « لايمكن ان تبعث بي . أنا لم افعل اي شيء . بل هما . اقسم على ذلك » . واشار بأصبع اتهام الى هلمولتز والهمجي . « اوه ، ارجوك الا تبعث بي الى أيسلندا . اعدك بلا افعل الا ما ينبغي على فعله . امنحني فرصة اخرى . ارجوك امنحني فرصة اخرى » .. وبدأت الدموع تنساب .. « اقول لك انه غلطتهما » .. وبكى .. « ليس الى أيسلندا . اوه ارجوك ، يا صاحب السعادة الفوردية ، ارجوك » .. وفي غمره من اليأس القى بنفسه على ركبتيه أمام الحاكم . حاول مصطفى موند ان ينهضه ، لكنه بقي مكانه ينتحب ويعترض .

في النهاية دق الحاكم جرسا لسكرتارته الرابعة . واصدر امرا : « احضر ثلاثة رجال ،

وحدوا السيد ماركس الى حجره يومه . اعطوه جرعة دوية من رشت السموم ، ثم ضعوه في الفراش ، واتركوه » .

وخرج السكرتير وعاد ومعه ثلاثة توائم من المعاويين يرتدون ربا أخضر . وحملوا بررد الى الخارج وهو ما يزال يصرخ ويبكي .

قال الحاكم عندما اغلق الباب : « يكاد المرء يتصور انه داهب الى حيث تقطع رقبته . ولو لديه اقل قدر من الوعي ، لتأكد أن عقابه هذا ما هو الا جائزة في الحقيقة . اذ يمكن القول بأنه سيرسل الى مكان سوف يقابل فيه مجموعه طريفة جدا من الرجال والنساء ، يندر وجودهم في أي مكان في العالم . سيقابل كل الناس الذين لسبب أو آخر يتميزون بتفردهم الشديد ولا يتوائمون مع حياه المجتمع . كل الناس الذين لم يقتنعوا بأن يكونوا مثل الآخرين ، لديهم أفكارهم الخاصة . كل فرد : بمعنى من المعاني ، ليس كالآخر .. لكم احسدك يا سيد واتسون » .

ضحك هلمولتز وقال : « اذن لمـاذا لا تذهب انت الى احدى الجزر ؟ » .

ـ « لاننى فى النهاية ، فصلت ذلك . عرض على ان اختار ، اما ان يبعث بى الى احدى الجزر ، حيث استطيع ممارسة مجالى العلمى ، او ان انضم الى مجلس الحاكم ، مع تأكيد من داخل نفسى باننى سأصبح حاكما . اخترت ذلك وتركت العلم لحال سبيله . واصبحت فى الحكم منذ ذلك الحين . وللحقيقة ، فهى ليست مهمة طيبة بالطبع . لكنها مناسبة جدا بالنسبة للسعادة . فالسعادة لها ثمنها الذى تدفعه . انت تدفع ثمنها ـ يا سيد واسون ـ تدفع لأنك مغرم جدا بالجمال . لقد كنت مغرما جدا بالحقيقة . لذا فانا ادفع ايضا » .

سأله الهمجى بعد فترة صمت : « لكن ألم تذهب ابدا الى احدى الجزر » ؟

ابتسم الحاكم وقال : « وهذا يظهر مدى [illegible]. ان اختياري لخدمة السعادة يعني ان اخدم الآخرين .. ولست انا . ثم أضاف بعد فترة [illegible] . انه وجد حرر [illegible] في [illegible] [illegible] ماذا كان يمكن أن نعمل [illegible] وجودها .

[illegible] ويمكنكم [illegible] في [illegible] على ما [illegible] . [illegible] سعيد [illegible] . هل [illegible] [illegible] الاستوائي . أم مناخا آخر يجعل اكثر حيوية » ؟

[illegible] من على كرسي واجاب : [illegible] ان اكون في مناخ سيء . لانني اعتقد ان المرء [illegible] ان يكتب بطريقة افضل ، [illegible] كان المناخ [illegible] . حبذا لو كانت هناك رياح وعواصف ، على سبيل المثال » .

[illegible] الحاكم رأسه موافقا : « انا احب روحك

يا سيد واتسون . أحبها كثيرا جدا فى الحقيقة . بنفس الدرجة على عدم موافقتى عليها من الناحية الرسمية » . **وابتسم وقال** : « ما رأيك فى جزر الفوكلاند » .

فأجاب هلمولتز : « لا بأس ، أعتقد انها مناسبة . والآن ، اذا لم يكن يضيرك ، سوف اذهب لرؤية كيف حال برنارد المسكين » !

الفصل السادس عشر

« الفن ، والعلم .. يبدو انك تدفع ثمنـا عاليا جدا لسعادتك » **قال الهمجى عندما اصبحا وحدهما :** « هل هناك شيء آخر » ؟

فاجاب الحاكم : « بالطبع ، هناك العميدة . ففى وقت من الأوقات كان هناك شيء يدعى الاله . لكننى نسيت ، انك تعـرف كـل ما يحيط بالالـه ، على ما اعتقد » .

ـ « حسن ... » وتردد الهمجى . فقد كان يود أن يقول شـيئا عن المزلة ، وعن الليل ، وعن السهول المترامية الشاحبة تحت ضوء القمر ، عن الجرف ، عن السير فى ظلام الظلام ، عن الموت . كم كان يود أن يتكلم ، لكن الكلمات ضاعت منه ، حتى كلمات شكسبير .

وقال مصطفى موند : « في الحقيقة . انك تطالب بحقك ، في أن تكون غير سعيد » .

فقال الهمجي بجسارة : « لا بأس اذن . أنا أطالب بحقي في أن أكون غير سعيد » .

ـ « هذا فضلا عن الحق في أن تغدو عجوزا قبيحا . وضعيفا ، الحق في المعاناة من الأمراض ، الحق في أن يكون لديك القليل لتأكله ، الحق في أن تعيش في خوف دائم مما قد يحدث غدا ، الحق في أن تقع فريسة للآلام من كل نوع » .

حدثت فترة صمت طويلة .

وقال الهمجي أخيرا : « أنا أطالب بكل ذلك » .

فرفع مصطفى موند كتفيه وقال : « أهلا بك » !

الفصل السابع عشر

كان الباب نصف مفتوح . فدخلا . « جون ! » وجاء من الحمام صوت واهن يدل على ان صاحبه مريض جدا .

فنادى هلمولتز : « هل فى الأمر شيء ؟ » .

لم تتق اى رد ، وتكرر الصوت مرتين . ثم حدث صمت . ثم فتح باب الحمام ، وخرج الهمجى شاحبا جدا .

فصاح هلمولتز : « هيه يا جون ، ارى انه مريض جدا » .

ـ **فسأله برنارد** : « هل اكلت شيئا أضر بك ؟ » .

فهز الهمجى راسه : « لقد أكلت المدنيه » .

ـ « مـــادا ؟ » .

ـ « لقد سممتنى » . ثم أضاف بصوت واهن : « وبعد ذلك اكلت آثامى » .

ـ « أجل ، ولكن ما الذى بالصبط .. اعنى ، كيف حالك الآن » .

ـ « الآن ، شعيب تماما . فقد شربت بعض الوستارد مع شىء من المـــاء » .

فتطلع اليه الاثنان بدهشـــة **وسـاله برنارد :** « اتقصد ان تقول انك فعلت ذلك عن عمد » ؟

ـ « انها الطريقة التى يستعملها الهنود لعلاج انفسهم » جلس ، وتنهد ، ومر بيده على جبهتـــه **وقـــال :** « سأرتاح لبضع دقائق . فأنا متعب جدا » .

فقال هلمولتز : « حسن ، لا يدهشنى ذلك » . وبعد فترة صـــمت **قـــال :** « لقد حئنـــا لنقول لك وداعـــا » . وواصل كلامه بنبرة أخرى « سوف نطير غدا صباحا » .

ـ « اجل سوف نطير صباح » قال برنارد ذلك. وقد لاحظ الهمجي على وجهه تعبيرا جديدا من الاستسلام . « وبالمناسبه ، يا جون » واصل كلامه وهو ينحنى الى الأمام فى كرسيه ويضع يده على ركبة الهمجي : « اود أن اعبر لك عن خالص اسفى لما بدر منى بالأمس » . واحمر وجهه ، « كم انا خجل » وواصل كلامه بالرغم من اضطراب صوته : « حقيقة كم أنا ... » .

قاطعه الهمجي بسرعة ، وامسك بيده ، وضغطها بحنان . وبعد فترة صمت قصيرة واصل برنارد كلامه « لقد كان هلمولتز نعم العون لى . ولولا وجوده ، لكنت ... » .

فقال هلمولتز محتجا : « وبعدها معك » .

حدثت فترة صمت ، وبالرغم من حزنهم .. لأن حزنهم هذا كان علامة حبهم لبعضهم .. فلقد كانوا سعداء !

ـ « لقد ذهبت لمقابلة الحاكم هذا الصباح ».. **قال الهمجى اخيرا :**

ـ « لمـاذا » ؟

ـ « لأطلب منه اذا كان من الممكن ان اذهب الى الجزر معكم » .

ـ « وماذا قال ؟ » .. سأله هلمولتز باهتمام.

فهز الهمجى راسه وقـال : « لم يسـمح لى بذلك » .

ـ « لمـاذا » ؟

ـ « قال انه يريدنى ان أستمر فى التجربة ، لكننى لا ارغب » قال الهمجى ذلك بغضب مفاجىء . « لا اريد أن استمر فى تلك التجربة . حتى من أجل خاطر كل حكام العالم ، سـوف اهرب غدا » .

فسأله الآخران : « لكن اين » ؟

فهـز الهمجى راسـه : « لا ادرى . الى اى مكان . لا يهمنى طالمـا ساكون وحدى » .

كان الخط الجوى لطائرات الهليوكوبتر من لندن الى بورتسموث محددا بصف من الأبراج الضوئيه لهداية الطيران الليلى . أما الخط العكسى من بورتسموث الى لندن فكان يسير مواريا فى غير انتظام على مبعدة ناحية الغرب ، ومحددا أيضا بمثل هذه الأبراج . وحدث ان وقعت حادثة فظيعه . فمرروا نقل خط بورتسموث لعدة كيلو مترات اكثر ناحية الغرب فى منطقة ما فى مقاطعة « سارى » . واصبح الخط القديم لا يبعد أكثر من ستة او سبعة كيلو مترات . وكانت تلك المسافه قصيرة جدا بالنسبة للطيارين المهملين خاصة اذا تناولوا نصف جرام زيادة . كان المقر الخاص بالخط القديم محددا بأربعة ابراج ضوئية مهجورة . والسماء فوقها خالية ساكنة .

اختار الهمجى لسكناه المنعزلة واحدة من هذه البنايات تقع على قمة تل . كان المبنى متينا وبحالة جيدة ـ ومريحا جدا ـ وقد اعتقد الهمجى عندما دار فى المكان لأول مرة ، ان المبنى مريح وحضارى

جدا . وهدأ من روع نفسه ، بأن قطع على نفسه عهدا بأن تكون حياته حياة خشنة مع الالتزام الصارم جدا .

ومرت الليلة الأولى هناك بلا نوم . وقضى ساعات الليل المظلمة راكعا على ركبتيه ، يبتهل لكل الآلهة الذين سمع عنهم ايام طفولته هناك فى معسكر الحجر . وكان من وقت لآخر يعرد ذراعيه ويبتهل : « اوه ، فلتغفر لى » .. كان يبتهل والدموع والعرق يفيضان على وجهه . « اوه ، فلتغفر لى ! اوه ، طهرنى ! ساعدنى على ان اكون خيرا ! » ويظل يردد ذلك مرات ومرات ، حتى يكاد يغمى عليه من الألم .

عندما جاء الصباح ، شعر بانه يستحق الحياة فى هذا المكان ، اجل ، رغم انه مازالت هناك بعض أنواح الرجاج فى معظم النوافذ ، ورغم ان المنظر كان جميلا من أعلى . والسبب المباشر لاختياره البرج انه قد أصبح مبررا ملزما لعدم ذهابه الى اى مكان

آخر . لقد قرر أن يعيش هنا لأن المنظر كان فى منتهى الجمال ، ويخيل اليك ايضا أنك حين تنظر من فوق ذلك المكان المرتفع كانك تتطلع الى فردوس واسع . لكن هل يستحق ان ينعم بهذا المنظر الرائع يوميا وكل ساعة ؟ ان ما كان يستحقه هو العيش فى حفرة صماء داخل الأرض . ورغم انه كان متحشما ومتألما بسبب آلامه الطويلة خلال الليل ؛ الا أنه صعد الى شرفة البرج ، وتطلع الى الشمس المشرقة على كل الأرض . كانت حدود المكان شمالا مجموعة من التلال تسمى « هوج باك » . اما الوادى الذى كان يفصل هذه التلال عن التل الرملى الذى يقع عليه البرج ، فكانت توجد به قرية متواضعة بها مزرعة للدواجن تتكون من تسعة أدوار فقط . وعلى الجانب الآخر من البرج ، تجاه الجنوب ، فكانت عبارة عن منحدرات مليئة بالحشائش البرية والشجيرات الواطئة بعدها توجد سلسلة من البحيرات .

كانت تلك المنحدرات هى التى جذبت الهمجى الى هـذا البرج . فقد كان المنظر رائعا جدا خاصة

بالنسبة لعين تعودت على رؤية الصحراء الأمريكية المقفرة . الغابات ، المساحات الممتدة المفتوحة من الشجيرات ذات الزهور الصفراء ، أطراف الأشجار العالية ، لمعان البحيرات واشجار الصفصاف تميل عليها ، زنابق الماء .. الى كل هذا الجمال . بالاضافة الى الهدوء !

مرت عليه أيام ذكملها لم ير فيها انسانا .. كان البرج يبعد بمقدار ربع ساعة طيرانا عن برج « تشارنج تى » ، لكن تلال ماليز كانت أكثر قفرا من هذا المكان ، والجموع التى كانت تغادر لندن يوما بقصد لعب الجولف ، أو التنس .. لم يكن يوجد نواد للجولف بالجوار القريب . وكان أقرب الملاعب الصناعية للتنس يبعد عدة أميال . لقد كانت الزهور والمنظر العام هى سبب الانجذاب لهذا المكان . ولذا فلم يكن هناك مبرر لأى أحد ان يحضر الى هنا ، لا أحد .

وقد قضى الهمجى أيامه الأولى وحده دون ان يزعجه أحد .

أما بالنسبة للنقود التى تلقاها جون عندما وصل فى البداية ، كمصروف شخصى . فقد كان صرف معظمها على متطلباته لحياته الجديدة . أحصى الباقى معه . ونمنى أن يكون كافيا لكى يعوله خلال فترة الشتاء . أما فى الربيع فسوف تثمر حديقته بما فيه الكفاية ولن يكون فى حاجة لأحد . هذا بالاضافة لوجود بعض الحيوانات البرية ، فقد رأى العديد من الأرانب ، وبطا بريا فى البحيرات . فشرع فى العمل فورا ليصنع قوسا وسهاما .

كانت هناك اشجار فتية مستقيمة فى رشاقة ، فى غابة قريبة من البرج . فقطع واحدة وجهز منها ساقا مستقيمة طولها ستة أقدام دون أفرع . ونزع عنها اللحاء الأبيض وأخذ يبريها من الطرفين بعناية شديدة حتى أصبحت فى مثل طوله ، صلبة من الوسط لأنها اسمك ، ومرنة مثل الزمرك الحديدى من عند الطرفين .

بعد تلك الأسابيع التى قضاها فى كسل تام بلندن ، حيث لا شىء يفعله ، وكلما احتاج الى شىء

ما كان عليه الا أن يضغط على جرس او يدير مقبضا .
كم كان مبتهجا كل الابتهاج لأنه يفعل شيئا يتطلب المهارة والصبر .

وما كاد ينتهي من عمل القوس ، حتى اكتشف انه يغني .. يغني ! فتوقف ، لانه شعر بذنب كبير . فقبل كل شيء ، هو لم يأت هنا لكي يغني أو يمتع نفسه . انما كان الهدف هو الهروب من الارتباط المقرز بتلك الحياة المتحضرة ، ومن المفروض أن تكون حياته هنا نقية طيبة . واكتشف انه نسي ما قطعه على نفسه من عهد بأن يتذكر المسكينة ليندا ، وقسوته عليها في لحظاتها الأخيرة . لقد جاء الى هنا ليعبر عن عميق حزنه . وها هو يجلس سعيدا يصنع قوسه وسهامه ، ويغني ، يغني بالفعل !

ذهب الى الداخل ، وفتح علبة المسطردة ؛ واضاف اليها شيئا من الماء ليغليها .

بعد نصف ساعة ، حدث أن جاء ثلاثة عمال من فصيلة دلتا سالب ، يقودون سيارتهم بالقرب من

التل ، وأصابتهم الدهشة لرؤيتهم شابا يقف بالقرب من ذلك البرج المهجور . نصفه عار ويضرب نفســه بسوط به عقد . كان ظهره مبينــا بخطوط حمــراء رفيعــة ، تتســاقط منهــا قطرات من الدم . توقف سائق العربة على جانب الطريق ، وحملق هو وزميلاه وأفواههم مفتوحة فى ذلك المنظر الغريب . واحد ، اثنان ، ثلاثــة .. أخذوا يحصــون الضربات ، بعد الضربة الثامنة ، توقف الرجل عن عقابه لنفســه واندفع جريا الى حافة المائدة حيث بدا عليه التعب ، وبعد أن استراح التقط الســوط ثانية وبدأ يضرب نفســه مرة ثانيــة . تسعة ، عشرة ، أحد عشر ، اثنى عشر ....

ــ « أوه ، فورد ! » همس الســائق . وكذلك فعل الآخران . وقالوا : « آه يا فورد » !

بعد ثلاثة أيام ، تقاطر المراسلون ، مثل تقــاطر الطيور على جثة ميتة .

أصبح القوس صلبا وجاهزا . بعد أن جففــه

على نار هادئة لخشب اخضر . وانشغل فى اعداد سهامه . فجفف ثلاثين عصا زود احد اطرافها بمسمار حاد ، وجعل الطرف الثانى على شكل حرف V حتى تستقر على خيط القوس . كان ذات ليلة قد قام بزيارة مزرعة الدواجن ، وأصبح لديه من الريش الآن ما يكفى حاجته . وبينما كان مشغولا فى تثبيت الريش على أول سهامه ، وصل أول المراسلين . تسلل فى هدوء بحذائه الكاوتش حتى اصبح خلفه .

وقال : « صباح الخير يا سيد همجى . انا مراسل جريدة « ذى أورلى راديو » . قفز الهمجى واقفا على قدميه من اثر المفاجأة ، كما لو أن ثعبانا لدغه ، وبعثر السهام والريش فى كل الاتجاهات .

فقال المراسل : « ارجو المعذرة ، انا آسف » . ولمس قبعته .. وهى قبعة طويلة من معدن خفيف بها جهاز ارسال . **وقال** : « ارجو المعذرة لاننى لم

اخلعها ، فهى ثقيلة الى حد ما . وكما كنت أقول لك ، انا مراسل جريدة « ذى أورلى ... » .

فسأله الهمجى بعنف : « ماذا تريد » ؟

ابتسم المراسل ابتسامة ودودة للغاية ، **وقال** : « حسن ، ان قراءنا سيكونون فى منتهى الشوق لبعض كلمات منك ، يا سيد همجى ..» . وابتسم ابتسامة بالغة السعادة على غير العادة .. « مجرد كلمات بسيطة منك . يا سيد همجى » .. وعلى الفور كان قد أخرج سلكا من جيبه ، وأوصله بجهاز الارسال ، وأدار مفتاحا صدر عنه طنين خافت . **وقال** : « هالو » عبر ميكرفون تدلى بلمسة من يده من القبعة وأصبح أمام فمه . وفجأة دق جرس داخل القبعة « هل أنت ادزل » ؟... « بريمو ميلون » يتحدث . لقد وقفت فى العثور عليه . انه هنا . والآن يا سيد همجى ، ألا تتفضل وتمسك بالميكرفون ، وتقول بضع كلمات قليلة ؟ » .. ونظر الى الهمجى بابتسامة كلها زهو **واكمل** : « **مجرد** أن تقول للقراء

لماذا جئت الى هنا . ما الذى جعلك تغادر لندن (استمر يا ادزل) .. هكذا فجأه . وتحكى . بالطبع عن السوط ؟ (جفل الهمجى . وقال لنفسه . كيف تسنى لهم ان يعرفوا حكاية السوط) ثم شيئ عن المدنية . وعن « رايك فى الفتاة المتحضرة .. مجرد كلمات قليلة ، قليلة جدا ... » .

واستجاب له الهمجى ، لكن ليس كما توقع السيد ميلون ، فلم ينطق باكثر من كلمتين ، وبعد ذلك ظل يرددهما . « اخرج من هنا ! اخرج من هنا ! » وامسك بالمراسل من كتفيه ، ولفه حول نفسه وبكل قوة ومهارة بطل من ابطال كرة القدم ، ركله بعنف فى مؤخرته .

بعد مضى ثمانى دقائق ، كانت هناك طبعة جديدة من جريدة « ذى أورلى راديو » تباع فى شوارع لندن ، وعلى صدرها عنوان بالأحرف الكبيرة « مراسل أورلى راديو يركل فى مؤخرته من همجى مجهول » .

وبالرغم مما عاناه ميلون ، فقد وصل أربعة مراسلين آخرين بعد الظهر الى البرج . واستقبل كلا منهم بأعنف مما استقبل به زميله السابق .

وصاح أحد المراسلين من على بعد مسافة آمنة وهو ما يزال يدلك آثار الركلة التى نالته فى مكان حساس : « أيها الرجل المجنون ، لماذا لا تتناول السوما ؟ فمن الممكن ان تجعلك افضل » ؟

ـ « أوه ، هل ترى ذلك ؟ » .. قال الهمجى ذلك وهو يلتقط عصا غليظه ويتحرك ناحيته .. فاندفع المراسل الى طائرته الهليوكوبتر .

بعد ذلك انقطعوا عن الهمجى لفترة وتركوه فى هدوء . ثم جاءت بضع طائرات هليوكوبتر وحلقت فوق البرج . فأطلق سهما لأقرب طائرة فاخترقت الأرضية المعدنية الرقيقة لكابينة القيادة وسمعت صرخة الم ، وانطلقت الطائرة الى أعلى بأقصى سرعتها .

بعد ذلك ظلت الطائرات الأخرى محافظة على ارتفاعها خشية ان تصاب . وشرع يحفر خندقا فى الحديقة ولم يعرهم مزيدا من الاهتمام . ويبدو انهم ملوا من الانتظار ، طالما لم يطرا اى شىء جديد ، فانطلقوا بعيدا .

كان الجو حارا جدا ، ورعد يدوى فى الجو ، كان قد حمر طوال فترة الصباح ، وتمدد على الأرض ليستريح . وفجأة طافت لينينا بخياله ، وكأنها موجودة معه فعلا فى البرج ، وتقول له « يا عزيزى ! » وكانت حلوة ، رائحتها جذابة .

قفز واقفا على قدميه وانطلق بجرى بعيدا عن البيت . وكانت توجد على مشارف الغابة كومة من الشجيرات الجافة ذات الأشواك ، فالقى بنفسه فى غمارها ، فاخترقت جسده بألم . حاول ان يفكر فى « ليندا » المسكينة ، التى قطع على نفسه عهدا بأن يتذكرها . لكنه ظل فى اسر لينينا التى ملأت كل تفكيره . لينينا التى وعد بأن ينساها . حتى خلال

الأشـــواك ووخزها ، كان يشعر بها ، شعورا حقيقيا لا يمكن مقاومته . وصوتها يرن فى اذنيه . « ... اوه يا حبيبى ، يا حبيبى » .

كان السوط معلقا على مسمار بجوار الباب ، جاهزا للاستعمال لو جاء مراسلون جدد . وفى ثورة غضب اندفع الهمجى عائدا الى البيت ، وامســك السوط ، وفرقع به فى الهواء . وتركت العقد على جسمه علامات .

ومن مكمنه الخفى فى الغابة على بعد ثلاثمائة متر، استطاع « داروين بونابرت » المصــور التليفزيونى الشهير ان يراقب المشهد كله . وقد وضــع الصبر والمهارة نصب عينيه . فقد قضى ثلاثة أيام قابعــا داخل جذع شجرة صناعية ، ثلاث ليال يزحف على بطنه خــلال الأعشــاب الطويلة ليخفى الميكروفونات داخل الشجيرات الشــوكية ، ويدفن الأســلاك فى الرمل الناعم الأسود . والآن حلت اللحظة الحاسمة. بعد اثنتين وسبعين ساعة من المعاناة الفظيعة .. اجل

حيث اللحظة الحاسمة ، هكذا فكر « داروين بونابرت » وهو يتحرك بين ادواته ، اعظم لحظة منذ أن عرض فيسمه المثير « زواج الفوريلا » . **وقال لنفسه** : « رائع ! » عندما بدأ الهمجي يمارس عرضه المثير ، (رائع !) . وواظب على ان تكون آلة تصويره التي تلتقط من على بعد ، موجهة ناحية الهمجي ، وجعلها تعمل في اكفأ وضع لالتقاط الصور . المقربة للوجه ، وهو يتلوى من الغضب والألم . (شيء مدهش ! » ، ثم غير ايقاع التصوير لمدة نصف دقيقة ليصير بطيئا (ومنى نفسه ان يحدث ذلك تأثيرا كوميديا على المشاهدين) . اثناء ذلك كان يسمع صوت ضرب السياط والأنات ، والكلمات الشرسة المجنونة التي كانت تسجل على شريط الصوت الموجود اسفل شريط الصورة . كما انه كان مبتهجا لسماع اصوات الطيور البرية .. في الفترات التي يتوقف فيها صوت الهمجي ، وكم كان يتمنى ان يستدير حتى يستطيع اخذ لقطة مقربة للدماء وهي تسيل من على ظهره .. وبالفعل (ويالها من ضربة حظ) فقد

استدار الهمجى ، وكان باستطاعته أن يلتقط لقطة مقربة محكمة .

وقال لنفسه عندما انتهى كل شىء : « عظيم ، شىء غير معقول ، حقيقة شىء رائع » ثم مسح وجهه بمنديله . عندما انتهوا من اعداد الفيلم فى الاستوديو، كان بالفعل شيئا رائعا .

بعد اثنى عشر يوما ، كان فيلم « همجى من ساررى » يعرض فى كل دور عرض الدرجة الأولى فى غرب أوربا .

كان تأثير عرض فيلم «داروين بونابرت » تأثيرا فوريا وعظيما ، وبعد ظهر اليوم التالى للعرض الأول للفيلم ، تمكر صفو هدوء وعزلة « جون » بوصول عدد هائل من طائرات الهليوكوبتر الى المنطقة . كان يحفر فى الحديقة ـ يحفر ، وهو يفكر فى نفس الوقت فى الموت . الموت ـ وأخذ يرفع التراب بجاروفه مرة، ومرة ، وهكذا . وتذكر قول ماكبث . كل أيامنا الماضية اضاءت لنا طريق الموت بحماقة . ثم رفع

جاروفا آخر . وتساءل لماذا ماتت ليندا ؟ لماذا تحتم عليها أن تعيش حياة أقل من مستوى البشر ثم أخيرا .. وانتابته رعدة .

فى تلك اللحظة غدت السماء مظلمة . وفجأة اصبح فى الظل . كان هناك شىء بينه وبين الشمس. تطلع الى أعلى فى دهشة ، حيث كان يحفر ويفكر ايضا ، فراى فوقه سحابة من الطائرات تحوم فى الهواء . كانت مثل الحشرات الضارة المعلقه فى الهواء فوق راسه تماما فى هذه اللحظة ، ثم نزلت كلها حوله بين الأعشاب الطويلة والشجيرات القصيرة . ومن داخل هذه الحشرات المعلقة هبط رجال يرتدون بنطلونات بيضاء من صوف صناعى ، ونساء يرتدين بنطلونات قصيرة من القطيفة وبلوزات من الحرير الصناعى .. من كل طائرة اثنان .. وخلال دقائق قليلة كان يوجد العشرات منهم يحيطون بالبرج فى شكل دائرة ،يحملقون ، يلتقطون الصور ، يلقون بالمكسرات والحلويات ، كما لو أنه حيوان فى حديقة الحيوان . وفى كل لحظة ، كانوا يتدفقون من جميع

الجهات فى سبيل لا ينقطع ، ويزداد عددهم اكثر واكثر .

بدا الهمجى يتراجع فى هذه اللحظة ، مثل حيوان وقع فى اسر الصيادين ، ووقف مستندا الى حائط المبنى يتطلع من وجه الى وجه فى ذعر صامت مثل رجل فاقد الوعى .

وصاح : « ابعدوا عن هنا » !

لقد تكلم الحيوان . وضحك الجمع وصفقوا بأيديهم . « رائع ، ايها الهمجى العزيز ! » .. وخلال تلك الضجة سمع صيحات تطالب بـ « السوط السوط ! السوط » !

آذته هذه الكلمات ودفعته لأن يقوم بفعل شىء ما . فأمسك بحزمة من الحبال ذات العقد ، التى كانت معلقة خلف الباب وأخذ يهزها فى وجه معذبيه .

ضجوا من الضحك .

تقدم نحوهم بهيئته المرعبة . وصرخت امراة من الخوف . وتمهقروا قليلا الى الوراء ، ثم وقفوا ثانتين . شجعهم على ذلك ، كثرة عددهم الأمر الذى لم يكن الهمجى يتوقعه .

ـ « لماذا لا تتركونى وحدى ؟ » قال ذلك من خلال دموعه الفاضة . ثم سالهم « ماذا تريدون منى ؟ » واخذ يتنقل ببصره فى وجوههم المبتسمة الغبية .

ـ « السوط » . اجابت مئات الأصوات فى صيحة واحدة . « دعنا نراك تقوم بمشهد الحلد » .

ثم ، رددوا ، جميعا وبصوت بطىء عميق ، « نحن ـ نريد ـ ال ـ سوط » . وصاحت مجموعة اخرى فى آخر الصف ، « نحن ـ نريد ـ ال ـ سوط » .

والتقط آخرون الصيحة ، واخذت الجملة تردد مرات ومرات بصوت اعلى واعلى ، حتى لم

تعد هناك كلمات اخرى تقال سوى « نحن ـ نريد ـ الـ ـ سوط » .

فى هذه اللحظة وصلت طائرة هيلوكوبتر اخرى. عندما حطت وفتح الباب ، نزل منها أولا رجل احمر الوجه ، ثم امرأة شابة ترتدى بنطلونا قصيرا من القطيفة الخضراء الصناعية ، وبلوزة بيضاء وقبعة انيقة .

وعندما رأى الهمجى وجه المرأة ، شحب وجهه وتراجع الى الوراء .

وقفت المرأة الشابة ، تبتسم له ـ ابتسامة غير واضحة ، ابتسامة كان القصد منها ان تهدئه . ومرت اللحظات . وتحركت شفتاها . كانت تقول شيئا ، لكن صوتها غاص فى صيحات الجمع .

« نحن ـ نريد ـ الـ ـ سوط ! نحن ـ نريد ـ الـ ـ سوط ! » .

ضغطت المرأة بكلتا يديها على جنبها الأيسر ، وظهر على وجهها الذى يشبه وجه الدمية الجميلة ،

تعبير حزين غير مألوف . وغدت عيناها الزرقاوان اكثر اتساعا وبريقا ، وفجأة انحدرت دمعتان على خديها ، تحرك فمها مرة ثانية ، رغم أن كلماتها لم تسمع . ثم بحركة سريعة متعاطفة مدت ذراعيها نحو الهمجى ، وتقدمت ناحيته .

وتعالت الصيحات ، « نحن نريد ـ الـ ـ سوط ! نحن ـ نريد ... » .

وفجأة تحقق ما كان يطلبونه .

فقد اندفع الهمجى ناحيتها كالمجنون وهو يصيح : « العاهرة ! » وبدأ يضربها بالسوط ذى العقد الصغيرة .

استدارت تجرى لكى تتفادى ضرباته ، لكن قدمها تعرقلت فى جذور بعض الشجيرات وسقطت على وجهها بين الأعشاب الطويلة . فصرخت : « هنرى ، هنرى ! » لكن رفيقها ذا الوجه الأحمر كان قد فر واختبأ خلف الهليوكوبتر .

واندفع الجميع ناحية المكان الذى يقف فيه الهمجى ، وهو ينهال ضربا على ذلك الجسد الرقيق الملقى بين الأعشاب .

أخذ الجميع بهذا المنظر الغريب المفزع المؤلم ، فبدأوا يقلدون حركاته المجنونة ، وقد دفعهم الى ذلك عادة التعاون ، وتلك الرغبة فى تقليد الآخرين التى غرست فى أعماقهم أثناء تكيفهم ، فأخذ كل منهم يضرب الآخر مثلما يفعل الهمجى بضرب نفسه . أو يضرب ذلك الجسد الهزيل الذى يتلوى بين الأعشاب عند قدميه .

وأخذ الهمجى يردد : « اقتلوها ، اقتلوها ، اقتلوها » .

وفجأة شرع أحدهم يغنى « أورجى ـ بورجى » وما ان سمعوا الأغنية ، حتى شرعوا يغنون ، ثم بدأ الرقص . أورجى ـ بورجى . حلقات ، حلقات ، حلقات ، وكل منهم يضرب الآخر على ايقاع الأغنية . أورجى ـ بورجى .. !

كان الوقت بعد منتصف الليل ، عندما طارت آخر هليوكوبتر . وارتمى الهمجى نائما بين الأعشاب من تأثير السوما الغبى ، ومن فرط ما بذله من جهد . وعندما استيقظ كانت الشمس فى كبد السماء . ظل ممددا للحظة ـ وفجأة تذكر ـ كل شىء .

ـ « أوه ، يا الهى ، يا الهى ! » وغطى عينيه بيديه . فى ذلك المساء ، اظلمت السماء بطائرات الهليوكوبتر المتجهة الى مبنى البرج فى سيل لا ينتهى. ونشرت تفاصيل ما حدث بالأمس فى كل الجرائد .

ـ « ايها الهمجى ! » نادى أول من وصلوا عندما هبطوا من طائراتهم . « ايها السيد الهمجى » !

كان باب المبنى نصف مفتوح . دفعوا الباب على مصراعيه وساروا فى العتمة الى الداخل . واستطاعوا ان يروا عبر الباكية الموجودة على الجانب الآخر من الحجرة ـ السلالم التى تؤدى الى الأدوار العلوية ـ وتحت قمة الباكية تماما كانت تتدلى قدمان .

« انه ، الهمجى » !

وببطء ، ببطء شديد ، مثل طرف ابرة البوصلة ، كانت القدمان ، تتحركان ناحية اليمين ، الشمال ، الشمال الشرقى ، الشرق ، الجنوب الشرقى ، الجنوب الغربى ، ثم توقفتا ، وبعد لحظات قليلة ، تحركتا ببطء ، ببطء شديد ، الى العكس تجاه اليسار . تجاه الجنوب ، الجنوب الغربى ، الجنوب الشرقى ، الشرق ...